تحصينات الطائف العسكرية

خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين

د. سليمان بن صالح آل كمال
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى

اشتق اسم الطائف من حائطها المبني حولها المحدق بها، وذلك أنه عندما اشتدت شوكة قبيلة ثقيف(١)، وكثرت عمارة وادي وَجّ(٢)، رمتهم العرب بالحسد وطمع فيهم مَنْ حولهم وغزوْهم فأجمعوا على بناء حائط يكون حصنًا لهم، فكانت النساء تصنع اللبن، والرجال يبنون الحائط حتى فرغوا منه، وسموه الطائف لأنه يحيط بهم وكأنه يطوف حولهم، وجعلوا لحائطهم بابين: أحدهما لبني يسار(٣)، والآخر لبني عوف(٤)، وسموا باب بني يسار صعبًا وباب بني عوف ساحرًا،

---

(١) اسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. آل كمال: محمد سعيد (ت ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) - الطائف جغرافيته - تاريخه - أنساب قبائله، جمع وتعليق د. سليمان بن صالح آل كمال ط ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م نشر مكتبة المعارف بالطائف، ص ٦٢.

(٢) وَجّ بالفتح ثم التشديد: اسم للطائف سميت وجًّا بوج بن عبدالحي، وقيل: عبدالحق من العماليق، وعصر العماليق قبل أن تبني ثقيف حائطها. ياقوت الحموي: شهاب الدين الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) - معجم البلدان، ٥ أجزاء، ط سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، مادتا (طائف) و (وج).

(٣) يسار بن مالك بن حطيط بن قسي (ثقيف). آل كمال محمد سعيد - المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) سمو بالأحلاف أبوهم عوف بن قسي (ثقيف). آل كمال محمد سعيد - المرجع السابق نفسه.

فتفردت ثقيف بملك الطائف، وعن ذلك قال أبو الصلت والد أمية(٥):

نحن المبنُّون في وَجّ على شرف تلقى لنا شُفَعا منه وأركانا

وقال ابنه أمية بن أبي الصلت الثقفي(٦):

نحن بَنَيْنا طائفًا حَصِينًا يُقَارِعُ الأبطالَ عن بَنِينا(٧)

وقد ضربت العرب بثقيف مثلاً في المناعة، فهذا أبو طالب بن عبدالمطلب(٨) يقول:

مَنَعنا أَرْضنا من كل حيّ كما امتنعت بطائفها ثقيف
أتاهم معشرٌ كي يسلبوهم فحالت دون ذلكم السيوف

وأورد الأصفهاني خبر اجتماع غيلان بن سلمة الثقفي(٩) بكسرى فارس وما دار بينهما من حوار استحسنه منه، حيث كساه وبعث معه من الفرس من بنى له أُطُمًا بالطائف، فكان أول أطم بُني

---

(٥) ياقوت - المصدر السابق، مادة (وَجّ).

(٦) شاعر وحكيم جاهلي مشهور، اتفقت العرب على أنه أشعر ثقيف، مات بالطائف كافرا في سنة (٩ هـ/ ٦٣٠م) قبل أن يسلم الثقفيون قال النبي ﷺ: «آمن شعره، وكفر قلبه». ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) - الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ أجزاء نسخة مصورة عن طبعة القاهرة، تصوير دار الكتاب العربي ببيروت (د. ت)، جـ ١ ص ١٣٤.

(٧) البكري: أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، نشر عالم الكتب ببيروت (د. ت)، مادة الطاء والألف.

(٨) عم النبي ﷺ، ياقوت - المصدر السابق، مادة (طائف).

(٩) ابن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الثقفي، أسلم بعد فتح الطائف، وكان أحد وجوه ثقيف بالطائف، وقيل: إنه أحد من نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. كان حكيمًا وشاعرًا، روى عنه ابن عباس شيئًا من شعره، توفي سنة (٢٣هـ/ ٦٤٣م). ابن حجر - المصدر السابق، جـ ٣ ص ١٨٦.

بها(١٠)، والأطم هو الحصن المبني بالحجارة(١١).

وفي غزوة حنين سنة (٨هـ/٦٢٩م) اشتركت قبيلة ثقيف مع هوازن في محاربة الرسول ﷺ، فانهزموا في المعركة، وولوا فارين مسرعين إلى طائفهم متحصنين به، ومغلقين على أنفسهم أبوابه(١٢)، فسار إليهم النبي ﷺ، وحاصرهم ثم عاد حيث لم يؤذن له بالفتح(١٣).

وفي العام التالي سنة ٩هـ/٦٣٠م قدم وفد ثقيف على الرسول ﷺ بالمدينة معلنين إسلامهم، وكتب لهم بذلك كتابًا، فأصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية(١٤).

وفي خلافة بني أمية سنة (٧٢هـ/٦٩١م) أرسل عبدالملك بن مروان جيشًا من الشام إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي(١٥) لمحاربة عبدالله بن الزبير بمكة، فاتجه بالجند نحو الطائف، واتخذها قاعدة عسكرية لانطلاقه، فكان يرسل منها البعث

---

(١٠) الأصفهاني: أبو الفرج علي بن حسين الأموي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦) - كتاب الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة بولاق الأصلية، نشر دار صعب ببيروت (د.ت) جـ ١٢ ص ٥١.

(١١) ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) - لسان العرب، ١٥ جزءًا، نشر دار صادر بيروت (د.ت)، مادة (أطم).

(١٢) لم يشهد عروة بن مسعود الثقفي، وغيلان بن سلمة الثقفي حنينا ولا حصار الطائف، حيث كانا بجرش (من مخاليف اليمن) يتعلمان صنعة الدَّبَّابات والمجانيق والضبور. ابن هشام أبو محمد عبدالملك (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م) - السيرة النبوية، نسخة مصورة عن طبعة الحلبي القاهرة تصوير مؤسسة علوم القرآن بيروت، لبنان (د.ت)، جـ ٤ ص ٤٧٨.

(١٣) اختلف في مدة الحصار بين ١٧ و ٢٠ ليلة، للمزيد ينظر ابن هشام المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٨٢ - ٤٨٤.

(١٤) ابن هشام المصدر السابق، جـ ٤ ص ٥٣٧ - ٥٤٣.

(١٥) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ولد في الطائف سنة (٤٠هـ/٦٦٠م)، تولى لعبدالملك بن مروان أمر عسكره في أثناء محاربة ابن الزبير، ثم ولاه مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق، بنى مدينة واسط، وله إسهامات كثيرة في الفتوحات الإسلامية بالمشرق توفي سنة (٩٥هـ/٧١٤م). الزركلي: خير الدين (ت ١٣٩٦هـ/١٩٧٦) - الأعلام، ٨ أجزاء، ط ٦، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، نشر دار العلم ببيروت، جـ ٢ ص ١٦٨.

إلى عرفة في الحل لمحاربة ابن الزبير ثم ترجع خيله بعد انتهاء المعركة إلى الطائف(١٦)، ولعلّه فعل ذلك لأسباب من أبرزها:

أولاً: قرب الطائف من مكة وهي دار قومه (ثقيف) فيجد منهم النصرة.

ثانيًا: حصانة الطائف الطبيعية لموقعها بين الجبال والهضاب والأودية المحيطة، ووعورة مسالكها.

ثالثًا: الحصانة العسكرية المتمثلة في السور وأبوابه وأبراجه.

وفي خلافة بني العباس زار الطائف الرحالة ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) وَشدَّ انتباهه إحكام بناء السور حيث ذكره في معرض حديثه عن الطائف، فقال(١٧): «وللطائف سور محكم».

وفي مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تقريبًا نرى ازدياد أبناء قبيلة ثقيف وتعدد بطونها، وصاحب ذلك اتساع ديارها في قرى الطائف المحيطة حيث أصبح كل بطن مستقلاً بذاته وتحصيناته(١٨).

وأورد لنا المؤرخ المكي حسن العجيمي المتوفى بالطائف سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م أسماء بعض حصون ثقيف بقرى الطائف المحيطة،

---

(١٦) النجم ابن فهد: عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم فهيم شلتوت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، نشر مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، جـ ٢ ص ٨٨.

(١٧) سفرنامة، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي، ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، نشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود الرياض، ص ١٦١.

(١٨) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م) - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٨ أجزاء، تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي، طبعة السنة المحمدية القاهرة سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، جـ ٤ ص ٩٤، ١٣٤، ١٣٥، جـ٧ ص ٤٥، ٤٦.

العجيمي: حسن بن علي (ت ١١١٣هـ/ ١٧٠١) - إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى محمود جنيد، ط ٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م نشر دار ثقيف بالطائف ص ٨٦.

فقال(١٩): "وموضع يسمى الجفيجف(٢٠) بسفح جبل، وعليه آثار حصن... ومنها العقيق وعلى جبله(٢١) الذي بينه وبين قرية الهضبة(٢٢) حصن يقال له حصن الدعوسي رجل من ثقيف... وحصن المليساء... ومنها حصن النفرة(٢٣)؛ طائفة من ثقيف".

واختلف في موقع الطائف القديم ومكان حصنه الذي بنته ثقيف وحاصرهم فيه النبي ﷺ(٢٤). إلا أن الثابت أن الطائف تتبع مكة إداريًا في العصور الإسلامية المختلفة، فقد عدَّها بعض المؤرخين والجغرافيين من مخاليفها(٢٥).

---

(١٩) إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص ٨٨، ٩٢، وأضحت هذه القرى الآن من ضمن أحياء المدينة.

(٢٠) الجفيجف قرية شرق وادي وج تشرف على جبرة من الجنوب وفيها ذرية عمر العرابي إلى اليوم.

(٢١) ويسمى جبل عكابة، وبه إلى الآن آثار ثلاثة حصون عثمانية، وهو مقر قيادة منطقة الطائف العسكرية في الوقت الراهن، ينظر الملحق الثالث لوحة رقم (٢).

(٢٢) ذكر العجيمي في المصدر السابق نفسه أن قرية الهضبة ابتدأت عمارتها بعد الألف. قلت: وهي الآن تشمل حارات الطائف القديمة، فوق، وأسفل، والسليمانية، وقد بني حولها السور من قبل الشريف غالب سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م كما سنبينه في موضعه.

(٢٣) ذكره الزركلي بالغَيْن، وقال: "وهذا الحصن في وادي لية" - ما رأيت وما سمعت، تقديم عبدالرزاق كمال، نشر مكتبة المعارف بالطائف (د. ت)، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢٤) لمزيد من الاطلاع حول هذا الخلاف ينظر آل كمال: محمد سعيد - المرجع السابق ص ٢٩ وما بعدها، آل كمال: عبدالحي بن حسن (ت ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م) - الطائف وأسماء الأسر القديمة وبعض عاداتهم، طبع دار الحارثي في الطائف (د. ت)، ص ١٩.

(٢٥) ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت حوالي ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م) - المسالك والممالك، باعتناء دي غويه، ط، بريل لايدن سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، ص ١٣٣، الفاسي - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من العلماء، نشر دار الكتب العلمية بيروت (د. ت) جـ ١ ص ٢، ٢٣، ٢٥، ٨٩، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، جـ ١ ص ٣٤٣.

وعن المخلاف ذكر ابن منظور - المصدر السابق، مادة (خلف) ما نصه: مِخْلافُ البلد سلطانه: والمِخْلافُ الكورَةُ يقدِّمُ عليها الإنسان، وهو عند أهلِ اليمن واحد المخَاليف، وهي كورُها لكل مخلاف منها اسم يعرف به، وهي كالرُّستَاق، والمخاليف لأهل اليمن كالأجْناد لأهل الشام، والكور لأهل العراق، والرّساتيق لأهل الجبال، والطسَّاسيج لأهل الأهواز".

وفي سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م قام أمير مكة بركات بن محمد(٢٦) بإعلان تبعيته للدولة العثمانية حيث بعث بابنه محمد (أبو نمي الثاني)(٢٧) إلى السلطان العثماني سليم الأول(٢٨) بمصر مقدمًا له ولاء الطاعة، فخلع عليهما وأبقاهما على الحجاز، فخطبا باسمه في المشاعر المقدسة في حج ذلك العام، فأضحت الطائف ضمن بلادهم(٢٩)، وكان أمير مكة يُعين على الطائف نائبًا له من الأشراف يسمى حاكمًا، لكن منصبه يعد منصبًا فخريًا(٣٠).

وإلى جانب الأمراء الأشراف قامت الدولة العثمانية بإنشاء نظام جديد - أطلقوا عليه اسم سنجق(٣١) جدة - يتولاه أحد ولاتهم بمرتبة

---

(٢٦) بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان شريف حسني، ولد بمكة سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م وولي إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، وظلّ بها إلى أن توفي سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م الزركلي - الأعلام، جـ ٢ ص ٤٩.

(٢٧) محمد بركات، ويستمر النسب كما في ترجمة والده السابقة، ولد في مكة سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٦م، وشارك أباه في الحكم ثم تولى منفردًا بعد وفاة أبيه سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، وطالت مدته في الحكم وتوفي سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م. الزركلي - المرجع السابق، جـ ٦ ص ٥٢.

(٢٨) السلطان سليم خان الأول ابن السلطان با يزيد ولد سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م، ولي الخلافة سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، وهو السلطان التاسع من آل عثمان، ومكث في الخلافة ٨ سنوات و ٩ أشهر، توفي سنة ٩٢٦هـ / ١٥١٩م، وله من العمر ٥١ سنة. أباظة: السيد (معاصر) - تاريخ الملوك العثمانية والوزراء الصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، نشر دار الكتاب الجامعي القاهرة، ص ١٦٥.

(٢٩) دحلان: أحمد زيني (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، نشر مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦ م، ص ٥٠، ٥١.

(٣٠) بوركهارت: جون لويس (ت ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م) - رحلات في شبه الجزيرة العربية، ترجمة عبدالعزيز الهلابي وعبدالرحمن الشيخ، ط١، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، ص ٨٤.

(٣١) سنجق Sancak: ومعناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيرا عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسمًا إداريًا من أقسام الدولة، وكان حاكم السنجق قبل عهد التنظيمات (١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) حاكماً عسكريًا ومدنيا. صابان: سهيل (معاصر) - المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ص ١٣٦.

سنجق أو باشا(٣٢) تتبعه فرقة عسكرية كاملة مهمته الاشتراك في إدارة شؤون الحجاز مع الأمراء الأشراف بالإضافة إلى مراقبتهم والحد من سلطاتهم في بعض الأحيان، كما أضافوا إليه وظيفة شيخ الحرم المكي، وكان يتلقى الأوامر من الآستانة مباشرة، وله بعض النواب بالطائف(٣٣).

وتبرز أهمية الطائف من حيث موقعها الاستراتيجي العسكري للآتي:

أولاً: تعد بوابة مكة المكرمة من جهة الشرق حيث أضحت حامية لها من هذه الجهة، وفيها تتم المراقبة والإشراف على الشؤون الإدارية المختلفة(٣٤).

ثانيًا: الإشراف على بعض طرق الحج، ومنها طريق الحاج اليمني - الطريق الداخلي عبر المناطق الجبلية - فالطائف محطة لاستراحة قوافل حجاجهم(٣٥)، كذلك طريق الحاج العراقي، فالطائف محطة لحجاجهم منذ العصر العباسي؛ فقد كان خلفاء بني العباس(٣٦) يأمرون

---

(٣٢) باشا Pasha: استعملت لقبًا لحكام الولايات، وأخيرًا أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة. صابان - المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣٣) العصامي: عبدالملك بن حسين (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩) - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ط ١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، المكتبة السلفية في القاهرة، جـ ٤ ص ٤١٣، دحلان - المصدر السابق ص ٥١، ٧٦. وللمزيد من الاطلاع حول ولاة الحجاز من طرف الدولة العثمانية من عهد السلطان سليم الأول سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إلى قيام الثورة العربية سنة (١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) ينظر غازي: عبدالله المكي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦) - إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مخطوط مكتبة د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان الخاصة، مصور عن مخطوط الشيخ محمد نصيف، جـ ٤ ص ٣٢٨ - ٣٥٣.

(٣٤) غازي - إفادة الأنام جـ ٤ ص ٣٤٠، جـ ٦ ص ٦١٣، عبدالرحيم: عبدالرحمن عبدالرحيم (معاصر) - محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، نشر دار الكتاب الجامعي القاهرة جـ ٢ ص ٧٢، ٧٣، ٤٢٧، ومن وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، ط ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م نشر دار الكتاب الجامعي القاهرة، جـ ٢ ص ٣٣٢.

(٣٥) بوركهارت - المرجع السابق، ص ٤٠٣ وما بعدها.

(٣٦) كانت خلافة بني العباس بين سنتي (١٣٢ - ٦٥٦ هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م).

حجاجهم حين توجههم إلى المشاعر المقدسة بأن يسلكوا إليها الطريق التي من قبل الطائف والنزول فيه في مكان واسع سُمِّي بالمحطة بجوار جبل أم السكارى(٣٧)، ثم يستكملوا الرحلة إلى الأراضي المقدسة عبر ميقات قرن المنازل(٣٨).

ثالثًا: اعتدال مناخ الطائف في فصل الصيف مقارنة بمناخ تهامة(٣٩)، وجمال طبيعتها وخصوبة أرضها ووفرة مياهها ومنتجاتها الزراعية والحيوانية التي توفر بدورها الغلال والطعام للعسكر، والمراعي لعلوفة دوابهم(٤٠)، مما أدى إلى امتلاك أمراء الحجاز للمزارع بها، فكانوا يقصدونها صيفًا للتنزه والاستجمام، كما قصدها الولاة من الأتراك أيضا(٤١).

رابعًا: طبيعة الطائف وجغرافيتها المتمثلة في موقعها الحصين – على جبل غزوان – ووعورة مسالكها في مواجهة من رامها بالهجوم(٤٢).

---

(٣٧) ما زال المكان يعرف باسم المحطة إلى يومنا هذا، وموقعه في طرف محلة السلامة غرب شارع المثاة العام وشرق جبل أم السكارى الذي يفصل بين محلتي السلامة وقروى بجوار مسجد المحجوب.

(٣٨) العباسي: أحمد بن عبدالحميد (ت القرن العاشر الهجري) عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري، ط ٣، نشر أسعد طرابزوني (د. ت)، ص ٢٣٢.

(٣٩) قال ياقوت في معجم البلدان، مادة (طائف): "وهي طيبة الهواء شمالية، ربما جمد فيها الماء في الشتاء وفواكه أهل مكة منها"، وأضاف "وكان معاوية يقول: أغبط الناس عيشًا عبدي أو قال مولاي سعد – وكان يلي أمواله بالحجاز – يتربع جدة، ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة، ولذلك وصف محمد بن عبدالله النميري زينب بنت يوسف أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية، فقال: تشتو بمكة نعمة، ومصيفها بالطائف".

(٤٠) عبدالرحيم – من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، جـ ٢ ص ٦١٠، ٦١١.

(٤١) دحلان – المصدر السابق ص ٧٦، ولمزيد من الاطلاع حول مزارع الأشراف ومواقعها بالطائف، ينظر آل كمال محمد سعيد – المرجع السابق، ص ١٤٣ وما بعدها.

(٤٢) غزوان: بالفتح ثم السكون وآخره نون، فعلان من الغزو، وهو القصد، وهو الجبل الذي على ظهره مدينة الطائف. ياقوت – المصدر السابق، مادة غز.

هذه بعض العوامل التي أدت إلى اهتمام الدولة العثمانية بالطائف فقامت بتحصين المدينة بالسور والأبواب، والأبراج، وبناء القلعة، وتشييد الثكنة العسكرية (القشلة) وشحنهما بالقادة والجند تحت إشراف ولاتهم ونظرهم، بالإضافة إلى ما عملته الحكومة السعودية في هذا الشأن كما سنبينه.

أولاً - السور:

١- بناء السور:

بني هذا السور زمن السلطان العثماني سليم خان الثالث(٤٣)، سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م من الحجر واللبن من قبل واليه على الحجاز الشريف غالب(٤٤)، الذي كلف بدوره حاكمه على الطائف سليمان بن أحمد الهايف(٤٥) ببنائه، فأحاط المدينة به لتحصينها، وجعل له أبوابًا وأبراجًا، وحفه بخندق من خارج المدينة(٤٦). وكانت المدينة تضم في تلك الفترة هضبة الريع وجبل ابن منديل من جهة

---

(٤٣) ولي الخلافة بين سنتي (١٢٠٣ - ١٢٢٢هـ/ ١٧٨٨ - ١٨٠٧م) السيد أباظة - المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٤٤) غالب بن مساعد بن سعيد الحسني من أمراء مكة وليها سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م إلى أن قبض عليه والي مصر محمد علي باشا، وأرسله إلى مصر سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، ومكث بها أشهرًا، ثم أرسله إلى الآستانة فنفته حكومتها إلى سلانيك فتوفي فيها سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. الزركلي - المرجع السابق، جـ ٥ ص ١١٥.

(٤٥) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لي من مصادر، وقد انقرض هذا البيت وبقيت أملاكهم وقفًا تصرف على طلبة العلم، ثم استأثر بها قضاة الطائف، آل كمال عبدالحي - الطائف ص ٤١، بديره: محمد صالح (معاصر) - السليمانيون - أصول - حارة - تراث، مخطوط بخط الآلة الكاتبة عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، ص٣١٢.

(٤٦) ابن عبدالشكور - عبدالله بن محمد (ت ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٠م) - تاريخ أشراف أمراء مكة المكرمة، مخطوط مكتبة الحرم المكي رقم (٤٣) تاريخ، الورقة (١٢٩)، دحلان - المصدر السابق ص ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٤، رفعت باشا: إبراهيم (ت١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) مرآة الحرمين، نشر دار المعرفة بيروت (د. ت)، جـ ١ ص ٣٤٦، غازي المكي - المرجع السابق جـ٤ ص ٩٨، ٩٩، جـ ٦ ص ٥٦٩، ٥٧١، ٦٢٤، ٦٥٣، جـ ٧ ص ٧١٢، وينظر الملحق الثالث اللوحتان رقم (٣، ٤).

الغرب[٤٧]. وقرية الهضبة وتشمل أهل أعالي الهضبة وأهل أسفل الهضبة، وسميتا فيما بعد بحارة (أو حي) فوق، تقع في الركن الغربي الجنوبي من داخل السور، وحارة (أو حي) أسفل، وتشمل النصف الشمالي من داخل السور، وآخر ما استحدث حارة (أو حي) السليمانية في الركن الجنوبي الشرقي داخل السور[٤٨]. وقد بلغت أطوال السور كالآتي:

الضلع الشرقي ٦٨٢ ذراعًا، والضلع الغربي ٧٩٨ ذراعًا، والضلع الشمالي ٧٣٧ ذراعًا، والضلع الجنوبي ٦٢٢ ذراعًا، وارتفاعه ٨ أذرع، وعرضه ٣ أذرع، وَجُعِلَ له ثلاثة أبواب[٤٩].

---

[٤٧] ابن منديل: قسم من الخدام يقطنون هذا الجبل، ولهم به أملاك، فنسب إليهم، وبشرقه برحة تسمى باسمهم.

[٤٨] آل كمال محمد سعيد - المرجع السابق، ص ٣١، ٣٨. وعن قرية الهضبة وعمارتها ينظر ما سبق هامش (٢٢) وقد أزيلت حارة السليمانية بالكامل وبعضًا من حارة أسفل سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ضمن تطوير المدينة، أمَّا ما بقي من حارة أسفل وحارة فوق فتعرف اليوم باسم المنطقة المركزية وهي محور أسواق الطائف التجارية في وقتنا الحاضر، ينظر الملحق الثاني الشكلان رقم (١، ٢) والملحق الثالث اللوحتان رقم (٣، ٤).

[٤٩] اختلف في طول الذراع المعماري بين (٥١ - ٧٧) سنتيمترًا، قال الريس: "أما الذراع المعماري فنتج من إضافة قدم مصري إلى الذراع العتيق، وهو قدمان ونصف بالضبط، فيكون طوله إذن ٤٦,٢ + ٣٠,٨ = ٧٧ سم"، وجاء الذراع المعماري في الموسوعة العربية ٧٥ سنتيمترًا، ويوافقه ما تعمل به المحاكم الشرعية السعودية في الحجاز في وقتنا الحاضر إذ جعلت الذراع المعماري للمنشآت العثمانية يساوي ٧٥ سنتيمترًا وهو ما سوف نعتمده في بحثنا فنقول:

يساوي طول الضلع الشرقي للسور (٥١١,٥ مترا)، والغربي (٥٩٨,٥ مترا)، والشمالي (٥٥٢,٧٥مترا)، والجنوبي (٤٦٦,٥مترا)، وارتفاعه (٦ أمتار) وعرضه (٢,٢٥ متران وربع).

قلت: أما موقع السور في وقتنا الحاضر بعد إزالته، فيحده من الشرق شارع الملك سعود - رحمه الله - ومن الغرب مجمّع الدوائر الحكومية وشارع البلدية القديم، ومن الشمال شارع الملك فيصل رحمه الله، ومن الجنوب يسير السور مع منتصف محراب مسجد عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، فنصف المسجد الحالي داخل السور والنصف الآخر خارجه.

وثيقة مصدرها أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي، التصنيف: جودت عسكري مضبطة رقم (٣) رقمها (٣٧٥٠٤) تاريخها ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، الريس: محمد ضياء =

٢- أبواب السور:

عند إنشاء السور عُمل له ثلاثة أبواب هي:

الباب الأول باب السلامة: واشتق اسمه من قرية السلامة(٥٠) التي تقع في قبلته وموقعه في الجنوب الغربي من السور تقريبا، ويقال له أيضًا باب الريع، وبهذا الاسم اشتهر، وما زال الموقع يحمله - بعد إزالة السور - إلى يومنا هذا(٥١).

الباب الثاني باب حوايا: ويفضي إلى بساتين حوايا(٥٢)، ويقع في الجنوب الشرقي للسور تقريبًا، بجوار مسجد عبدالله بن العباس - رضي الله عنهما - من جهة الشمال الشرقي، واشتهر باسم باب ابن العباس(٥٣).

الباب الثالث باب اليمانية: وسمي بذلك لأنه يفضي إلى طريق نخلة اليمانية الموصل إلى مكة المكرمة، طريق أهل الأثقال السائرين

= الدين (معاصر) - الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط ٤، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م، نشر دار الأنصار القاهرة. ص ٢٨٩، الموسوعة العربية الميسرة، ط ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، نشر دار النهضة، بيروت، جـ ٢ ص ١٧٦٧، وينظر الملحق الأول والملحق الثاني شكل رقم (١).

(٥٠) قال الهمداني ما نصه: "وفي قبلة الطائف حائط أم المقتدر الذي يدعى سلامة". قلت: وتحول الاسم الآن بدل قرية إلى محلة أو حي السلامة.

الهمداني: الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤ هـ/ ١٩٤٥م) - صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط ٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، ص٢٣٣.

(٥١) أزيل السور في سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م كما سيأتي، ابن عبدالشكور - المصدر السابق، ص ١٣٠، غازي المكي - المرجع السابق، جـ ٧ ص ٧١٢، ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١).

(٥٢) قلت: وموقع بساتين حوايا الآن قرب الحي السكني الذي فيه قصر أفراح البستان شرقي مدرسة ثقيف الثانوية والشارع العام الموصل إلى حي شهار، ابن عبدالشكور - المصدر السابق نفسه. الحضراوي: أحمد بن محمد المكي (ت ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) - اللطائف في تاريخ الطائف، نسخة مصورة عن مكتبة مكة المكرمة رقم (١٩)، ص ٦٥.

(٥٣) غازي المكي - المرجع السابق نفسه، ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١) والملحق الثالث لوحة رقم (٤).

بعوائلهم(٥٤). ثم سمي بباب شبرا(٥٥)، وأخيرًا سمي بباب الحزم، وبه اشتهر وما زال الموقع - بعد إزالة السور - يحمل الاسم إلى يومنا هذا، ويقع هذا الباب في الشمال الشرقي من السور تقريبًا(٥٦).

وكان لكل من هذه الأبواب برجان تحفها من الجانبين، وتقفل بعد صلاة العشاء مباشرة، ولا تفتح إلا في صباح اليوم التالي(٥٧).

٣- أبراج السور:

بلغ عدد أبراج السور ثلاثة وعشرين برجًا موزعة على النحو الآتي:

أبراج الضلع الشرقي، وعددها ستة أبراج، وأبراج الضلع الغربي، وعددها ستة أبراج، وأبراج الضلع الشمالي وعددها ستة أبراج، وأبراج الضلع الجنوبي وعددها خمسة أبراج(٥٨)، والبرج الوحيد الباقي منها إلى يومنا هذا هو برج غلفة(٥٩)، ويقع في الركن الجنوبي

---

(٥٤) ابن عبدالشكور - المصدر السابق نفسه.

(٥٥) نسبة إلى قصر شبرا الذي شيده الشريف علي بن عبدالله بن عون باشا سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، ويقع خارج سور الطائف في الشمال الشرقي منه. بديرة - قصر شبرا التاريخي، ط ١، المطبعة الأهلية بالطائف (د. ت)، ص ١٢.

(٥٦) قلت: وبموقعه الآن إشارة المرور عند تقاطع شارع شبرا مع شارع الملك فيصل - رحمه الله - مع بداية الجسر المتجه شرقًا إلى حي الشرقية. غازي المكي - المرجع السابق نفسه، وينظر الملحق الثاني شكل رقم (١) مع ملاحظة موقعه كما هو بالمتن، وليس كما هو بالشكل.

(٥٧) أخبرني بذلك سيدي الوالد رحمه الله، فهو من مواليد عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وتوفي عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٥٨) جودت عسكري ٣/٣٧٥٠٤، وينظر الملحق الأول والملحق الثاني شكل رقم (١) والملحق الثالث اللوحتان رقم (٣، ٥).

(٥٩) ما زال هذا البرج قائما في موقعه إلى يومنا هذا إلا أنه - للأسف - في الآونة الأخيرة تهدم. وذكر ابن منظور - في المصدر السابق - مادة (غلف) بقوله: (وغلام أغلف: لم يختن كأقلف). والواقع أن اسم البرج مشتق من ذلك فقد ذكر الصديقي ما نصه: "برج الغلفة بين البلدية وبين بيت عبدالله قاضي المسمى بالكويت، وكان هذا البرج في عهد الأتراك يطهرون الأولاد فيه؛ أي يختتونهم إذا بلغ الغلام سبع سنين... ثم يمكث الغلام في هذاالبرج ثلاثة أيام فإذا تعافى كسوه وأعطوه ثلاث =

الغربي للسور(٦٠)، كما توجد صورة فتوغرافية لبرج السليمانية - قبل إزالته - والواقع في الركن الجنوبي الشرقي للسور(٦١).

ومن خلال البرجين المتبقيين نستطيع أن نرسم تصورًا لهذه الأبراج، فهما عبارة عن شكل نصف دائري، مبنيان من أسفلهما بالحجارة ومن أعلاهما باللبن، وبهما عدة شقوق سهمية تستخدم لرمي الأعداء بالسهام والأسلحة النارية، وفي اعتقادي أن الأبراج الأخرى لا تخرج عن ذلك في نمطها المعماري آنذاك. وفي أواخر العصر العثماني جُعِلَ في هذه الأبراج مدافع للحاميات العسكرية التي فيها(٦٢). ونرى من خلال خريطة عملت في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، أن أغلب أبراج السور قد أزيلت ولا سيما التي كانت في الضلع الغربي للسور، بسبب إنشاء الثكنة العسكرية - القشلة - ملاصقة للسور من هذه الجهة(٦٣). ويُلحظ شكل جديد للأبراج بالإضافة إلى الشكل نصف الدائري السابق ذكره، وهو على شكل مربع، كما في برجي باب الحزم في الضلع الشمالي الشرقي للسور، وباب الريع في الضلع الجنوبي الغربي للسور. كذلك يُلحظ أن أبواب السور الثلاثة يحف بكل منها برجان جانبيان، وبذلك يكون مجموع أبراج السور بما فيها أبراج الأبواب (٩) أبراج(٦٤).

= مجيديات وسلموه إلى ذويه"، وذكر صابان المجيدية بقوله: "نوع من النقود الفضة المضروبة في عهد السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م". الصديقي: محمد عبدالرحيم (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) - مقال بعنوان كتاب الطائف، مجلة الطائف العدد ٧٥ رمضان سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ص ٤٨، صابان - المرجع السابق ص٢٠٨.

(٦٠) ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١)، والملحق الثالث اللوحة رقم (٥).

(٦١) ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١)، والملحق الثالث اللوحة رقم (٣).

(٦٢) غازي المكي - المرجع السابق جـ ٤ ص ٩٩.

(٦٣) قشلة Kishla: معسكر شتوي، نسبة إلى قش التي تعني الشتاء، وقد أطلق فيما بعد على ثكنات الجيش كافة. صابان - المعجم ص ١٨١. وسوف نتحدث عنها بالتفصيل في المبحث الخاص بذلك.

(٦٤) ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١).

السور من خلال كتابات الرحالة والوثائق والمؤرخين:

وصف لنا الرحالة بوركهارت السور - بعد بنائه بنحو ١٦ عامًا تقريبًا حينما زار الطائف في سنة ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م - بقوله(٦٥): «والطائف عبارة عن مربع(٦٦) غير متناسق محيطه، لا يزيد عن مسافة تستغرق خمسًا وثلاثين دقيقة من السير السريع، ويحيط به سور وخندق بناهما حديثًا عثمان المضايفي(٦٧)، وللسور ثلاثة أبواب، ويحميه عدد من الأبراج ولكنه أقل متانة من أسوار جدة والمدينة وينبع، ويبلغ سمكه في أماكن عدة أكثر من ثماني عشرة بوصة».

وبمناقشة النص السابق حول قول بوركهارت بأن السور والخندق بناهما حديثًا عثمان المضايفي. فلعله كان يقصد تجديدهما من قبل المضايفي؛ لأنه - كما سبق وأشرنا - تم عملهما من قبل حاكم الطائف - للشريف غالب - سليمان الهايف سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م. ويؤكد هذا الترجيح أن المضايفي كان استيلاؤه على الطائف وأخذه له من الشريف غالب كان سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م، وفي أثناء ذلك تهدّم شيء من السور والأبراج، فأخذ المضايفي بإصلاح ما تهدم وتحصين المدينة حيث اتخذها قاعدة عسكرية لانطلاقه نحو باقي المدن الحجازية،

---

(٦٥) رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٨٢.

(٦٦) ينظر ما سبق في أطوال السور، والملحق الثاني شكل رقم (١).

(٦٧) عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف وما حولها من الحجاز في الدولة السعودية الأولى، كان من خاصة الشريف غالب بن مساعد صاحب مكة بمنزلة الوزير، ثم بايع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفي سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م استولى على الطائف وما حولها من الحجاز، فولاه الإمام عبدالعزيز إمارة الطائف، ومكث في الإمارة إلى أن أسره جيش محمد علي باشا، وبُعث به إلى مصر ثم الآستانة حيث قتل فيها سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م، وفي الطائف في علو قرية الهضبة - محلة فوق - شارع يسمى زقاق المهراس، وسبب التسمية أن القائد التركي حين أَسَره لعثمان قال: سآتي به إلى هذا المكان وأهرسه في مهراس وأنتم ترون، فسمي الشارع بذلك. الزركلي - المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٨، آل كمال: عبدالحي - مقال عن الطائف، مجلة الطائف العدد (٧٨) ذو الحجة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ص ١٩.

ومكث بالطائف نحو (١١) سنة إلى عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م إلى أن قبض عليه من قبل جيش محمد علي باشا(٦٨)، وتم إرساله إلى الآستانة(٦٩).

وفي ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م - في عهد السلطان عبدالمجيد خان الأول(٧٠) - حُرر كشف لترميم السور وأبراجه، وتمَّ رفعه للآستانة نزولاً عند إرادة والي الحجاز عثمان باشا(٧١)، وقد وقعه قاضي الطائف مصطفى القاضي(٧٢)، وأمين الزكاة(٧٣)

---

(٦٨) محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل ولد في قولة - التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية - سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م ولي مصر سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وحارب الدولة السعودية الأولى من قبل الدولة العثمانية، توفي بالإسكندرية سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، ودفن بالقاهرة. الزركلي - المرجع السابق، جـ ٦ ص ٢٩٨.

(٦٩) دحلان - المصدر السابق، ص ٢٧٣ - ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٦. غازي المكي - المرجع السابق، جـ ٦ص٥٧١. عبدالرحيم - الدولة السعودية الأولى، ط٦، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، نشر دار الكتاب الجامعي القاهرة. جـ ٢ ص ١٥١، ١٥٣، ٣٢٠.

(٧٠) ابن السلطان محمود غازي ولي الخلافة بين سنتي (١٢٥٥ـ ١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩ـ١٨٦٠م). السيد أباظة - المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٧١) عثمان باشا القرملي، كان واليًا لمشيخة الحرم النبوي من قبل الدولة العثمانية، وفي سنة (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م) صدرت إليه الأوامر بولاية جدة ومشيخة الحرم المكي، فكان بذلك أول وال بجدة بعد انفصال الدولة المصرية المحلية عن الحجاز، وقد أقام الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين قائما مقامه، وفي سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م قام بعمل إصلاحات معمارية في الطائف منها عمارة مسجد عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، وتعمير القلعة، وفي العام نفسه وقع خلاف بينه وبين الشريف عبدالله، وكتب بذلك إلى السلطان حيث أتت إليه الأوامر بالعودة إلى مشيخة الحرم النبوي مرة أخرى، فلما بلغه الأمر اغتم لذلك، ومات من ليلته، وقيل: إنه سَمَّ نفسه، وكان ذلك في سنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م. دحلان - المصدر السابق ص ١١٣ - ٣١٤، الحضراوي - المصدر السابق ص ٨٤.

(٧٢) مصطفى بن عبدالوهاب الدَّة القاضي، ولي قضاء الطائف إلى سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م، وهو من أسرة آل القاضي، التي لها دور بارز في الطائف في الحياة العلمية والتعليمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، حيث شاركوا آل كمال في ذلك وفي القضاء وصناعة ماء الورد الطائفي وعطره. للمزيد من الاطلاع ينظر آل كمال: سليمان بن صالح (معاصر) - التعليم في الطائف وبعض رجاله في القرن الرابع عشر الهجري، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٢٢.

(٧٣) وهو لقب كان يطلق على من يقوم بجباية الزكوات والمحافظة عليها وصرفها لمستحقيها.

عبدالقادر بن حريب(٧٤)، وعبدالله باشا حاكم الطائف(٧٥)، ومحمد أفندي شويه أمين البناء(٧٦)، وحضره جميع معلمي البناء بالطائف، وبلغت التكلفة ٢٠, ١٠٣٢٤٣ قرشًا(٧٧).

وفي عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م تولى محمد وجيهي باشا ولاية جدة ومشيخة الحرمين، فخرج إلى الطائف وعَمَر السور وأتقن الأبراج، وكان ديدنه التحصين(٧٨).

---

(٧٤) عبدالقادر بن مسعود بن عبدالمحسن بن حريب، له مخطوط بمكتبة عبدالله بن العباس بالطائف بعنوان (المريد بشرح جوهر التوحيد) انتهى من كتابته في ٢ شعبان عام ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥م. وهو من أسرة آل ابن حريب، إحدى الأسر التي لها إسهام بارز في الحياة العلمية والتعليمية في الطائف في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. لمزيد من الاطلاع ينظر آل كمال سليمان - المرجع السابق، ص ٨٢.

(٧٥) الشريف عبدالله باشا بن محمد بن عبدالمعين بن عون الحسني، ولد بمكة سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م، وأقام بالآستانة فأحرز رتبة الوزارة، ثم ولي إمارة مكة بعد وفاة والده سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، واستمر فيها إلى أن توفي بالطائف سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م. الزركلي - المرجع السابق جـ ٤ ص ١٣٢.

(٧٦) أمين البناء Bina Emini: لقب يطلق على من كان يقوم بالإشراف على بناء كبير يتبع الدولة العثمانية، ويستمر عمله مدة استمرار أعمال البناء، وكان يشرف على المصروفات من جهة، ويؤمن الحاجات واللوازم والعمال الذين يشتغلون في أعمال البناء من جهة أخرى، وكان مسؤولاً أمام الدولة عن الانتهاء من البناء في فترة معينة. صابان - المرجع السابق، ص ٣٧.

(٧٧) ترمز الشرطة التي على رقم (٢٠) إلى جزء من البارة، باره Para: وكان القرش الواحد يساوي أربعين بارة وزنته اثنا عشر قيراطا من الفضة، وكانت على فئتين: فئة العشرين بارة، وفئة العشر بارات. وضرب في عهد السلطان سليم الثالث فئة المئة بارة والخمسين بارة. وكان القرش الواحد في عهد السلطان محمود الثاني يساوي أربعين بارة. وقرش مفرد جمعها قروش Kurush: الاسم الذي أطلق على المسكوكات الأجنبية المستعملة أو المتداولة في الدولة العثمانية بوجه عام، فإن كانت ذهبًا أطلق عليها القرش الأحمر، وإن كانت الكلمة مجردة من الإضافة قصدت بها السكة الفضية ولها أنواع، وهناك القرش العثماني الذي استخدم في نهايات القرن ١٦م.. إلخ. صابان - المرجع السابق، ص ٥١، ١٧٨. ينظر كامل نص الوثيقة بالملحق الأول.

(٧٨) توفي بالطائف سنة ١٢٨٣هـ وقيل: ١٢٨٤هـ (١٨٦٦ - ١٨٦٧م) وقد ناهز الثمانين. دحلان - المصدر السابق، ص٣٢٤، الحضراوي - المصدر السابق، ص٨٧، غازي المكي - المرجع السابق، ص ٣٣١، ٣٣٦.

وعندما وصف المؤرخ التركي أيوب صبري باشا - المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م - الطائف، أشار إلى وجود السور، ولم يهتم بوصفه(٧٩).

وفعل الشيء نفسه الرحالة محمد صادق باشا المتوفى سنة١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م الذي قال(٨٠): "وبلدة الطائف محاطة بسور من اللبن".

ونرى وصفًا للسور وتحصيناته وما كان عليه في سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) في أثناء الحرب التي جرت بين العرب بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي(٨١) وما عرف بنهضته، وبين الترك، حيث أورد لنا الشيخ عبدالله غازي المكي نقلاً عن جريدة القبلة ما نصه(٨٢):"وراء قلعة الثكنة جبل ابن منديل من جهة اليمن(٨٣) بينه وبين الثكنة خمسة وعشرون مترا، عليه حصن فيه مدفع وحامية من الجند، وبعد مئة متر برج مدور اسمه برج غلفة(٨٤) من جهة اليمن، وظيفته حماية الجهة اليمانية(٨٥)، وفيه مدفع وحامية... وفي شرق برج غلفة مسجد الحبر عبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ارتفاعه خمسة عشر ذراعا... وبالقرب منه باب متصل بمدينة الطائف اسمه باب ابن عباس أمامه خندق مستطيل، وقد بني هناك جدار عسكري وبعده

---

(٧٩) مرآة جزيرة العرب، ترجمة أحمد متولي، والصفصافي المرسي، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، نشر دار الرياض، ص١٨٤.

(٨٠) دليل الحاج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ط ١، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، طبعة القاهرة، ص ٨٠.

(٨١) الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، من أحفاد أبي نمي ابن بركات الحسني الهاشمي ولد في الآستانة بسنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، ثم انتقل إلى مكة مع أبيه وعمره ثلاث سنوات فتأدب وتفقه ونظم الشعر الملحون (الحميني) ومارس ركوب الخيل والصيد، عين أميرًا لمكة سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، وهو أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك، مات سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م في عمَّان، فحمل إلى القدس ودفن في المسجد الأقصى. الزركلي - المرجع السابق، جـ ٢ ص٢٤٩.

(٨٢) إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، جـ ٤ ص ٩٨ - ١٠١.

(٨٣) أي الجهة الجنوبية.

(٨٤) السابق ذكره هامش (٥٩)، وينظر الملحق الثالث اللوحة رقم (٥).

(٨٥) أي الجهة الجنوبية.

خندق طوله أكثر من ثلاثين مترا، وفي شرق الباب على مسافة عشرة أمتار مكان مربع فيه متاريس للجنود، وفي نهاية الركن الشرقي للبلد فيه عسكر وخندق... وفي جانب باب الحزم ثكنتان عسكريتان، وأمام الباب خنادق متعددة وبنيان عسكري... وعند باب الحزم مدفع... وعلى الباب الغربي (باب الريع) مدفع، وعلى الباب اليماني(٨٦) مدفع، وهذه الخنادق بعضها بشكل نصف دائرة... وبعضها مستطيلة وهي التي تصل الحصون بعضها ببعض، وكلها عميقة بحيث يمر فيها الفارس فلا يرى..." إلخ.

وقد زار الطائف خير الدين الزركلي أكثر من مرة، كان أولها عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م حيث أخذ في وصف المباني الحربية للمدينة ومنها السور وبواباته، فقال(٨٧): "أحيط الطائف بسور يضم داخل البلدة من جميع أطرافها، وليس هذا بالحائط الذي يقال بأن الطائف سمي لإطافته به منذ عرفت هذه الديار في العصور الغابرة، بل إن ذلك قد اندرس وأقيم هذا بعد عام الألف حول أكبر قرية في ديار الطائف، وما برح الأمراء والأشراف وغيرهم يتعهدونه بالإصلاح والترميم والبناء حتى بقي إلى الآن حافظًا مكانه، ولسور الطائف ثلاثة أبواب تغلق كل يوم بعد الغروب، ويجوز أن تفتح إلى الساعة الثالثة من الليل (نحو التاسعة زوالية) لفريق مخصوص من الناس أو لمن كان معروفًا لدى الشرطة: حفظة الأبواب، وأما بعد الثالثة فقلّ أن تفتح لأحد، والأبواب هي:

١ - باب الحزم: وهو الشرقي الموصل إلى شبرة.

٢ - باب الريع: وهو الغربي الموصل إلى السلامة والمثناة(٨٨).

---

(٨٦) أي الجنوبي، وينظر الملحق الثاني الشكل رقم (١).

(٨٧) ما رأيت وما سمعت، ص ١١٣ - ١١٤.

(٨٨) المثناة: بلام التعريف وفتح الميم وسكون الثاء المثلثة بمد وبعدها التاء المربوطة، أجمل ضاحية بالطائف تقع إلى الجنوب الغربي منه على مسافة ثلاثة أكيال تقريباً، وعلى طرف وادي وج ويكتبها بعضهم (المثنى). قلت: الآن هي إحدى أحياء مدينة الطائف الجميلة. للمزيد من الاطلاع ينظر آل كمال محمد سعيد - المرجع السابق، ص ١٤١ - ١٥٢.

٣ - باب ابن عباس: وهو بجانب مسجد ابن عباس يقع على الجهة الجنوبية إلى الغرب من الطائف.

وهذه الأبواب (أو البيبان كما يقولون) يرجع عهدها إلى زمن بناء السور على الغالب، وقد جددت عمارته قبل قدوم محمد علي باشا المصري إلى الحجاز (وكان قدومه سنة ١٢٢٨هـ)، وبقيت الأبواب تعرف بأسمائها إلى اليوم".

وبمقارنة قول الزركلي بما سبق عرضه عن الأبواب، نرى أنه قد التبس عليه تحديد اتجاهاتها ومواقعها، فإنه ما زال مكان مواقعها بعد إزالتها يحمل اسمها إلى وقتنا الحاضر بالمنطقة المركزية للمدينة.

السور في العهد السعودي الزاهر:

عندما دخل الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - الطائف عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) وتم له توحيد المملكة العربية السعودية، انعكس ذلك بدوره على انتشار الأمن والاستقرار، فنرى أبناء القرى والهجر المحيطة يتجهون إلى الطائف للتحصيل العلمي حيث كان بها أول مدرسة ابتدائية سعودية افتتحت عام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م) وما تلا من مدارس كدار التوحيد، وفي عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) شكلت وكالة الدفاع وكان مقرها الطائف، وصاحب ذلك إنشاء المدارس العسكرية المتعددة والدوائر الحكومية المختلفة(٨٩) كل ذلك جعل الكثافة السكانية في نمو مطرد، فلم يستوعب الطائف - القديم داخل السور - السكان، فأخذ الناس يبنون منازلهم خارجه في الضواحي والقرى المحيطة، فكانت البوابات السابقة لا تفي بالغرض المطلوب لما تسببه من مشقة لهم أثناء دخولهم المدينة والخروج منها، فأمر الملك عبدالعزيز - رحمه الله - باستحداث بابين من الحجر الخالص للتيسير على الناس هما:

١ - باب جديد: ويقع وسط السور من الجهة الشرقية بين محلتي السليمانية وأسفل.

---

(٨٩) آل كمال سليمان - التعليم في الطائف، ص ٤٦ - ٥٩.

٢ - باب العزيزية: ويقع في الجهة الشمالية للسور بجوار الثكنة العسكرية (القشلة) ويسميه بعض الناس باب القشلة(٩٠).

ومنذ عام ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م أخذ عمران الطائف يحتل مكانًا بارزًا حيث انتشر وأخذ يملأ ما بين قراه كقرية السلامة، وقرية قروى (الآبار) والعقيق، والمثناة، وحوايا، وشبرا وغيرها من القرى، أحياء ومحلات جميلة من أحياء المدينة متلاصقة لا يميز حدودها ولا يفصل بينها شيء(٩١).

فاهتم لهذا الأمر سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب جلالة الملك عبدالعزيز على الحجاز - الملك فيما بعد - فأخذ في تنظيم المدينة.

ففي ١٤/٨/١٣٦٨هـ الموافق ١٠/٦/١٩٤٩م أصدر أمرًا بعمل إصلاحات في مدينة الطائف، كان منها إزالة السور، وأبوابه، وأبراجه، وفتح شوارع - معبدة، ومرصفة، ومشجرة، ومضاءة - للسيارات في جميع أحياء المدينة لتصل بعضها ببعض(٩٢).

وهكذا تم إزالة السور، وأبوابه، وأبراجه، بعد أن انتهت مهمته التي أنشئ من أجلها.

ثانيًا - القلعة:

بناء القلعة:

تم بناء القلعة في عهد السلطان العثماني سليم الثالث بالحجر واللبن من قبل واليه على الحجاز الشريف غالب بن مساعد إلا أن

---

(٩٠) آل كمال: سليمان - مسجد شمس في الطائف وأثره الحضاري في الحياة العلمية، مجلة الدارة العددان ١ - ٢، السنة السادسة والعشرون ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٤٧ هامش (١)، وينظر الملحق الثالث اللوحة رقم (٦).

(٩١) آل كمال: محمد سعيد - الطائف، ص ٤٠.

(٩٢) دارة الملك عبدالعزيز - الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، ط ١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، جـ ٢ ص ٨٥٣، نقلاً عن صحيفة أم القرى السنة (٢٦) العدد (١٢٦٥)، وبقي جزء بسيط من السور غرب مسجد الريع (السنوسي) وشرق بلدية الطائف وبه برج غلفة السابق ذكره، ينظر الملحق الثالث اللوحات رقم (٥، ٨، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦).

المصادر التاريخية لم تحدد لنا سنة الإنشاء، والراجح أنه كان مع خلال فترة بناء السور وأبوابه وأبراجه، أي في سنة (١٢١٤هـ / ١٧٩٩م) تقريبًا، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إنشاء القلعة من قبل والي الحجاز الشريف غالب تم بمواد بناء السور نفسه حيث تشكل القلعة جزءًا منه(٩٣).

ثانيًا: وجود نصين لوثيقة ترجع إلى سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) عبارة عن كشف لترميم القلعة والإشراف عليها موجّه للآستانة، مما يدل على أنها بنيت قبل هذا التاريخ كما سيأتي(٩٤).

ثالثًا: قول الزركلي الذي سبق ذكره في أول زيارة له للطائف ووصفه للمنشآت العسكرية سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م - ما نصه(٩٥): «وقد زرنا قلعتها وهي غير قديمة، بنيت منذ نيف ومئة عام». وذكر الشيء نفسه شكيب أرسلان بقوله(٩٦): "وهي قلعة بنيت منذ نيف ومئة سنة".

وقد عرفت القلعة فيما بعد بأسماء عدة منها: قلعة عثمان، وقلعة باب الريع، وقلعة الثكنة، والحصن السلطاني(٩٧).

---

(٩٣) بوركهارت - رحلات في شبه جزيرة العرب ص ٨٢، وينظر مواد البناء مفصلا بالملحق الأول.

(٩٤) أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي، التصنيف جودت عسكري مضبطة رقم (٣) رقمهما (٣٧٥٠٤)، وينظر النصان بالكامل الملحق الأول.

(٩٥) ما رأيت وما سمعت، ص ١١٥.

(٩٦) رحل الأمير شكيب أرسلان إلى الحجاز سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، وراح يكتب ما يرى، ويصف ما يشاهد، وأعاد جمع ما كتب في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ /١٩٣١م (ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م) - الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف وهي الرحلة الحجازية، تصحيح وتعليق عبدالرزاق كمال، نشر مكتبة المعارف بالطائف (د. ت)، ص ٣٥٠.

(٩٧) قلعة عثمان نسبة إلى عثمان المضايفي كما سنبينه، وقلعة باب الريع لأن بجوارها من جهة الجنوب الشرقي باب السور المسمى (باب الريع) السابق ذكره، وقلعة الثكنة نسبة للثكنة العسكرية (القشلة) التي تحدها من جهة الشمال الغربي، والحصن السلطاني نسبة للسلطان العثماني. عبدالله غازي إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٩٨، ١٠٠، وجـ ٧ ص ٧٣٥، آل كمال: محمد سعيد - الأزهار النادية من أشعار البادية، ط ٦، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، نشر مكتبة المعارف بالطائف، جـ ١٥ ص ٨٥، الصديقي - مجلة الطائف ص ٤٨.

موقع القلعة:

تقع القلعة بالطرف الجنوبي الغربي للمدينة داخل السور، وتشكل جزءًا منه، على يسار الداخل من باب السور المسمى بـ «الريع»، فوق مكان صخري مرتفع يسمى «هضبة الريع»، وتشرف منه على ما حولها، وهي مركز حماية للمدينة، ويحدها من الشرق قرية الهضبة (الطائف القديمة) - شارع هدية في وقتنا الحاضر - ومن الغرب قرية السلامة - حي الشيبية من السلامة الآن - ومن الشمال بعض من قرية الهضبة والثكنة العسكرية (القشلة) فيما بعد - مجمع الدوائر الحكومية في الوقت الراهن - ومن الجنوب باب الريع وجبل ابن منديل(٩٨).

وصف القلعة:

بنيت القلعة من الحجر واللبن المغطى بالملاط، وتأخذ شكل مستطيل، والاستطالة فيها من الشرق إلى الغرب، وقد اختلف في مقدار أطوال أضلاعها في نصي وثيقة سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م) بين (٤٠ - ٥٥) ذراعًا(٩٩). ولعل مرد هذا الاختلاف إلى عدم الدقة في أخذ المقاسات، أو أن المقاس في النص الأول لم يشمل الأبراج، في حين شملها في النص الثاني.

أما ارتفاع القلعة فقد جاء في النص الأول أنه بمقدار (٤٠) ذراعًا وفي النص الثاني بمقدار (٢٢) ذراعًا، وفي اعتقادي أن الارتفاع في النص الأول يشمل القلعة والهضبة معًا من مستوى سطح الأرض، أما في النص الثاني فيشمل ارتفاع القلعة فقط أو الخراب الحاصل

---

(٩٨) ما زال الموقع معروفاً إلى وقتنا الحاضر، والشيبية نسبة لأملاك وأوقاف آل الشيبي سدنة بيت الله الحرام وما زالت تحت أيديهم إلى الآن، وقد كانت في السابق مزارع تحولت إلى عمارات سكنية.

(٩٩) أي بين (٣٠ - ٤١,٢٥ مترًا) تقريبًا، ينظر الملحق الثاني شكل رقم (١) والملحق الثالث اللوحات رقم (٩، ١٠، ١١).

فيها، ويرجح هذا القول النص الثاني نفسه في الوثيقة: (خراب قيمة طبقتين) ارتفاعه (٢٢) ذراعًا(١٠٠).

وبالرغم من الاختلافات في مقاسات القلعة إلا أن الثابت أنها كانت لقلعة واحدة فقط، فقد جاء في تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن الطائف من ولاية الحجاز مؤرخ في سنة ١٣٠٣هـ الموافق (١٨٨٤ - ١٨٨٥م) ما نصه: "أن بالطائف قلعة واحدة"(١٠١).

وتتكون هذه القلعة من طبقتين (دورين) فيها أربعة أبراج ركنية بارزة عن القلعة تتسع قاعدتها من أسفلها، وارتفاعها مع مستوى السطح، ثلاثة أبراج منها نصف دائرية من حيث الشكل، والبرج الرابع مربع الشكل ويقع في الركن الشمالي الشرقي، وللقلعة العديد من النوافذ مستطيلة الشكل رأسية الوضع، والشقوق السهمية والميازيب الخارجية لتصريف مياه الأمطار(١٠٢).

أمَّا باب القلعة فقد جاء في النص الثاني للوثيقة بأنه كان في الضلع الشرقي، ويفتح على برحة بداخل سور المدينة(١٠٣).

وللقلعة باب سري من جهة الشمال الغربي يفضي إلى ممر أرضي مسقوف بالأخشاب يتجه نحو البئر التي أصبح موقعها بوسط القشلة فيما بعد لجلب المياه والمواد التموينية، ومسافته تزيد على

---

(١٠٠) يقدر ارتفاع القلعة في النص الأول بنحو (٣٠ مترا) تقريبًا، وفي النص الثاني بنحو (١٦,٥مترا) تقريبًا، ينظر النصان الملحق الأول قلعة عثمان، وقلعة باب الريع.

(١٠١) حجاز ولاية سالنامة، لعام ١٣٠٣هـ الموافق (١٨٨٤ - ١٨٨٥م)، طبع المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية، ص ١٩١.

(١٠٢) الميزاب استعمله أهل الحجاز بهذا اللفظ، فأهل مكة والمدينة والطائف يقولون: صلى تحت الميزاب، وفيه أربع لغات: مئزاب بالهمز، وميزاب، ومزراب بتقديم الزاي، ومرزاب بتقديم الراء... إلخ. الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق ف. عبدالرحيم، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، نشر دار القلم دمشق، ص ٥٩٨.

(١٠٣) ينظر نص الوثيقة قلعة باب الريع الملحق الأول.

(٤٠٠متر) تقريبًا، ويتسع لحصانين يسيران بجوار بعضهما لقطر صهريج الماء وعربات المؤن(١٠٤).

وكانت القلعة محاطة بسور صغير بوابته تقع في الجانب الشمالي من الجدار الشرقي يضم بداخله بالإضافة إلى القلعة بيتًا، والجبخانة(١٠٥)، والشونة(١٠٦)، طوله ٥٧٥ ذراعًا، وارتفاعه ٧ أذرع، وعرضه ٣ أذرع(١٠٧).

القلعة من خلال الوثائق وكتابات الرحالة والمؤرخين:

قلعة عثمان بالطائف(١٠٨):

«في سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م) كُشف عن العمارة في قلعة الطائف الفوقانية المشهورة بقلعة عثمان(١٠٩): ارتفاعها ٤٠ ذراعًا. وطولها من جهة الشرق إلى اليمن ٤٠ ذراعًا، ومن اليمن إلى الشام ٤٠ ذراعًا ومن الشام إلى المغرب ٤٠ ذراعًا، ومن المغرب إلى اليمن ٤٠ ذراعًا».

---

(١٠٤) أخبرني بذلك عميد متقاعد السيد زيد بن علي العباسي قائد مدرسة البوليس الحربي سابقًا (الشرطة العسكرية) وهو من مواليد عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، والعميد متقاعد محمد علي بن عبود الشهراني سرية البوليس الحربي المتمركزة بقلعة باب الريع سابقًا، وهو من مواليد عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

(١٠٥) جبخانة Cephane = Cephanelik: مكان لحفظ الدروع في الأصل، ثم شمل مكان حفظ البارود والقنابل والأسلحة والدخائر. صابان - المعجم، ص ٨١.

(١٠٦) الشونة: مَخْزنُ الغَلَّةَ. الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ/ ١٣١٧م) - القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، نشر مؤسسة الرسالة، مادة (شون).

(١٠٧) يقدر طوله بنحو (٤٣١,٢٥ مترًا) تقريبًا، وارتفاعه بنحو (٥,٢٥ أمتار) تقريبًا، وعرضه بنحو (٢,٢٥ م) تقريبًا، ينظر الملحق الأول والملحق الثاني شكل رقم (١).

(١٠٨) للمزيد ينظر الملحق الأول. (انظر النص الأول من الوثيقة).

(١٠٩) الفوقانية أي فوق هضبة الريع، ومشهورة بعثمان المضايفي وزير وصهر الشريف غالب بن مساعد.

القلعة المذكورة علوها خراب وسفلها عامر، وفيها أربعة أبراج: اثنان عامرة، واثنان خربة(١١٠).

قلعة باب الريع(١١١):

«في سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م) كشف عن الإشراف علي القلعة الذي فيها محمد علي أغا(١١٢) وجماعته، فيها خراب طبقتين: ارتفاعه ٢٢ ذراعًا، ومن جهة الشرق من البرج إلى البرج ٥٥ ذراعًا والباب فيه، ومن جهة اليمن إلى البرج الخراب ٥٠ ذراعًا، ومن جهة الغرب ٥٥ ذراعًا، ومن جهة الشام ٥٠ ذراعًا. وفي القلعة المذكورة في الجهة الغربية خراب بطول ٢٥ ذراعًا وعرض الخراب ١٦ ذراعًا(١١٣)».

مما سبق عرضه نرى أنه تم حصر الخراب الحاصل في القلعة لعمل صيانة شاملة لها. أمَّا نسبتها لعثمان في النص الأول من الوثيقة فلا نعلم من هو عثمان الذي تنسب إليه، فلعله أحد مَنْ أشرف على بنائها أو تجديدها؟ أو أحد القادة المناط به شؤونها العسكرية ؟ إلا أنه من المتواتر بالرواية الشفوية لدى أهل الطائف نسبة بناء القلعة لعثمان المضايفي، وأنه

من المتواتر بالرواية الشفوية لدى أهل الطائف نسبة بناء القلعة لعثمان المضايفي

---

(١١٠) أي ارتفاع القلعة (٣٠ مترًا) وطولها من جهة الشرق إلى الجنوب (٣٠ مترًا) ومن الجنوب إلى الشمال (٣٠ مترًا) ومن الشمال إلى الغرب (٣٠ مترًا) ومن الغرب إلى الجنوب (٣٠ مترًا) تقريبا.

(١١١) تتحدث هذه الوثيقة عن القلعة السابقة نفسها (قلعة عثمان)، ما سبق هامش (٧٨)، وقد أتت هذه الوثيقة بالمضبطة والرقم نفسيهما للوثيقة السابقة، للمزيد ينظر الملحق الأول. (انظر النص الثاني من الوثيقة).

(١١٢) آغا Aga: مصطلح من أصل فارسي، ويعني السيد. وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة، منها أنها كانت تطلق على كبار الضباط... إلخ، صابان - المعجم ص ١٧. وهو ليس محمد علي باشا أغا الذي سكن القلعة في سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م؛ فالفرق بين سكنى محمد علي باشا وتاريخ الوثيقة ١٤ سنة تقريبًا.

(١١٣) أي ارتفاع الخراب الذي في القلعة يساوي (١٦,٥ م) تقريبًا، ومن جهة الشرق من البرج إلى البرج يساوي (٤١,٢٥ م)، ومن جهة الجنوب إلى البرج الخراب (٣٧,٥ مترًا)، ومن جهة الغرب (٤١,٢٥ مترًا)، ومن جهة الشمال (٣٧,٥ مترًا)، وفي الجهة الغربية خراب بطول (١٨,٧٥ مترًا) وعرضه (١٢ مترًا) تقريبًا.

بناها في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله(١١٤)، كما أشارت إلى ذلك بعض المؤلفات الحديثة(١١٥)، وفي اعتقادي أنه كان مشرفًا على البناء من قبل صهره والي الحجاز آنذاك الشريف غالب بن مساعد في عهد السلطان العثماني سليم الثالث، أو لعله قام بالإصلاح والتوسعة فيها بعد فتحه للطائف في عهد الإمام عبدالعزيز رحمه الله، ويؤيد هذا القول ما يأتي:

أولاً: النصان السابقان في الوثيقة تاريخهما سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١م، وهما بأرشيف مجلس الوزراء التركي، تمَّ رفعهما للآستانة، وهما عبارة عن كشف يتضمن أعمال الصيانة والترميم والإشراف على القلعة، ومقدار المبالغ المالية المطلوبة لذلك؛ أي أن القلعة بنيت قبل هذا التاريخ - سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) - في حين أجمعت المصادر التاريخية أن عثمان المضايفي فتح الطائف باسم الإمام عبدالعزيز بن سعود في سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، ومكث بالطائف نحو ١١ سنة تقريبًا، إلى سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م(١١٦) حين أسره جيش محمد علي باشا

---

(١١٤) الحاكم الثالث من آل سعود في الدور السعودي الأول، حكم ٣٩ عامًا حيث دخلت جميع أنحاء نجد في طاعته والأحساء والحرمين الشريفين، توفي قتيلاً أثناء تأديته لصلاة العصر بالدرعية عام ١٢١٨هـ /١٨٠٣م. بن هذلول: سعود - تاريخ ملوك آل سعود، ط ١، عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ م، ص ٧.

(١١٥) شكيب أرسلان: الارتسامات اللطاف، ص ٣٥٠، آل كمال محمد سعيد - الأزهار النادية، جـ ١٥، ص ٨٥، الصديقي - مجلة الطائف، ص ٤٨، الزيد: إبراهيم بن محمد (معاصر) - عثمان بن عبدالرحمن المضايفي أمير الطائف والحجاز في الدولة السعودية الأولى ، ط١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م نشر لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي بمحافظة الطائف، ص٤٤.

(١١٦) الجبرتي: عبدالرحمن (ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م) - تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، نشر دار الجيل بيروت (د. ت)، جـ ٢ ص ٥٥٤، جـ ٣ ص ٣٩٩، ٤٠٨، ٤٠٩، ابن بشر: عثمان (ت ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) - عنوان المجد في تاريخ نجد، نشر مكتبة الرياض الحديثة (د. ت) جـ ١ ص ١٢٢، ١٢٣، ٦٢، ١٦٤، دحلان - خلاصة الكلام ص٢٧٥، ٢٩٦، الحضراوي - اللطائف في تاريخ الطائف ص ٥٧، ونزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، قطعة منه، تحقيق محمد المصري، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م نشر وزارة الثقافة، دمشق جـ١ ص ٢٤٢.

وبعث به إلى الآستانة بقيادة ابنه أحمد طوسون، الذي نزل بجنده في هذه القلعة، وذكرها لأبيه بقوله(١١٧): "قلعة الطائف النادرة اللطائف".

ثانيًا: عملية بناء القلاع والحصون وإصلاحها وتعميرها بصفة عامة من بين أوجه الصرف التي تكلف حكومة الحجاز مبالغ مالية ضخمة، فكانت تأتيها الإعانات من قبل الآستانة؛ إذ إن هذه العمليات مستمرة ودائمة لأهمية هذه القلاع والحصون للحماية والدفاع واتخاذها مقرًا للقادة والجند(١١٨).

ثالثًا: عرفت القلعة باسم الحصن السلطاني - كما سبق أن أشرنا - وهذه النسبة كانت في الغالب تطلق على المنشآت التي تنسب للسلاطين العثمانيين.

رابعًا: حين زار الرحالة بوركهارت الطائف سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م، وصف القلعة ونسب عمارتها للشريف غالب، والتقى فيها محمد علي باشا، الذي اتخذها مقرًا لإقامته، ومنها كان يتصل بالقيادة العليا المركزية بالآستانة، إذ قال ما نصه(١١٩): "ذهبت إلى القلعة، وهي عبارة عن مسكن بائس للشريف غالب وقد حل الخراب ببعض أجزائها(١٢٠)... وخلال إقامتي في الطائف وصلت رسائل من إسطنبول عَبْر الصحراء عن طريق دمشق تحمل للباشا ترجمة تركية لمعاهدة السلم التي تم توقيعها في باريس... أمَّا القاضي فهو إسطمبولي داهية، والكثير من الناس يعتقد بأن السلطان العثماني أرسله لمراقبة تصرفات محمد علي وأعماله ويمده بتقارير عنها... وفي غرب الطائف(١٢١)

---

(١١٧) عبدالرحيم - من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، جـ ٢ ص ٣٣٣.

(١١٨) عبدالرحيم - محمد علي وشبه الجزيرة العربية، جـ ٢ ص ٩٥.

(١١٩) رحلات في شبه جزيرة العرب ص ٧٢، ٧٩، ٨١، ٨٢.

(١٢٠) وذلك حين تم الاستيلاء عليها من قبل قوات محمد علي باشا.

(١٢١) الصحيح: في الجنوب الغربي للطائف القديم قرية الهضبة كما سبق أن أشرنا، في حين أنها الآن في وسط المدينة المنطقة المركزية.

تقع القلعة على مكان صخري مرتفع وتشكل جزءًا من السور. وقد بناها الشريف غالب، ولا يمكن لمثل هذا المبنى أن يحمل اسم قلعة لولا أنها أكبر مباني الطائف، وجدرانها الحجرية أقوى من جدران المباني الأخرى. وبالرغم من أنه أصابها الآن بعض الخراب إلا أن محمد علي جعلها مقر إقامته. ومعظم منازل الطائف صغيرة لكن بناءها قوي من الحجارة". أمَّا قول بوركهارت: "إن القلعة عبارة عن مسكن بائس للشريف غالب"، فهذا القول غير دقيق؛ لأن مسكن الشريف غالب كان في داره التي كانت ببستانه الباطنة من المثناة حيث بناها قبل ذلك سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م، ولعل بوركهارت كان يقصد اتخاذ الشريف غالب للقلعة دارًا للحكم(١٢٢). أمَّا الخراب الذي أصابها فإنه بسبب الحرب التي دارت بين عثمان المضايفي وقوات محمد علي باشا.

وأخذ أمراء وولاة مكة من الأشراف وغيرهم في سنوات متلاحقة يتعهدون القلعة بالإصلاح والتعمير، والبناء، والتحصين، واستخدموها لأغراض متعددة؛ ففي سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م قبض أمير مكة الشريف عبدالمطلب بن غالب(١٢٣) على بعض الخارجين عليه وأودعهم القلعة، ثم أخذ في تحصينها وشحنها بالطبجية(١٢٤).

---

(١٢٢) الحضراوي - نزهة الفكر. جـ ١ ص ٢٦٨.

(١٢٣) ابن مساعد الحسني، من أمراء مكة ولد فيها سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، وولي إمارتها سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، وعزل عنها بعد خمسة أشهر، فتوجه إلى الشرق ثم إلى الآستانة، فأقام إلى سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، فأعيد إلى إمارة مكة، فاستمر فيها إلى سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م، فوقعتٌ فتنة بمكة كان سببها منع بيع الرقيق، فعزلته حكومة تركيا فقصد الآستانة، ومكث إلى سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، فأعادته حكومتها إلى الإمارة، فاستمر إلى سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وفصل عنها بعد أن وليها ثلاث مرات، مجموع مدتها ثمان سنوات، توفي بمكة سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، الزركلي - الأعلام، جـ ٤ ص ١٥٤.

(١٢٤) عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٦ ص ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٥٠ دحلان - خلاصة الكلام، ص ٣٠٧، وعن الطبجية قال صابان في المعجم ص ١٤٨: "طوب Top: الاسم العام الذي أطلق على الأسلحة النارية كافة، التي تطلق قذائف حديدية أو حجرية (المدفع) والطبجية رجال المدفعية".

وفي سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م قام الوالي العثماني على الحجاز الحاج عثمان باشا بعدة مآثر معمارية كان منها بالطائف تعمير قلعتها(١٢٥).

كما عَمَرها سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م الوالي محمد وجيهي باشا، سنجق جدة السابق ذكره(١٢٦).

وفي سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م قام الوالي خورشيد باشا(١٢٧) بالزيادة في عمارة القلعة وجعل فيها مسجدًا، والخزينة وما يتعلق بسائر دوائر الحكومة(١٢٨)، ولم تشر المصادر إلى مقدار هذه الزيادة إلا أن الملحوظ ازدياد مهمة القلعة، إذ أضحت مقرًا للدوائر الحكومية، بل وسجنا في بعض الأحيان لكبار رجال الدولة العثمانية السياسيين، فعن ذلك قال عبدالله غازي في معرض حديثه عن حوادث سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ما نصه(١٢٩): "في تلك المدة قدم إلى مكة من الآستانة تحت المحافظة نحو أحد عشر شخصًا منهم الصدر الأعظم(١٣٠) السابق المسمى

---

(١٢٥) كان أصله من أهل القرم ولي الحجاز سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م، ومكث يسوس الناس ويتألفهم ويكرمهم، سكن جدة، ومن سيرته تعمير المآثر وانتظام خدمة الحرم المكي وأمر بعمارة مسجد الحبر عبدالله بن عباس بالطائف وقباب عدة، وأمر بترخيم المسجد الحرام، وعمَّر عدة تحصينات حربية منها قلعة رابغ، وسور جدة.. إلخ، توفي ودفن بجدة سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م. الحضراوي - اللطائف ص ٨٤، عبدالله غازي - المصدر السابق، جـ ٤ ص ٣٣٢.

(١٢٦) الحضراوي - المصدر السابق، ص ٨٧، عبدالله غازي - المصدر السابق، جـ ٤ ص٣٣٦.

(١٢٧) تولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، وعزل سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وكان عالما فاضلا يحب العلم وأهله. الحضراوي - المصدر السابق، ص ٨٨، دحلان - خلاصة الكلام، ص ٣٢٥، ٣٢٦، عبدالله غازي - المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٣٧.

(١٢٨) الحضراوي - المصدر السابق نفسه، عبدالله غازي - المصدر السابق نفسه.

(١٢٩) إفادة الأنام، جـ ٦ ص ٦٧٩ - ٦٨٠.

(١٣٠) الصدر الأعظم Sadriazam: الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية. وكان وكيلا مطلقا للسلطان، وأطلق عليه الوزير الأعظم، ولقب الصدر العالي وصاحب الدولة، وكانت لديه صلاحيات أمور الدولة كافة.. إلخ صابان - المعجم، ص١٤٣.

مدحت باشا(١٣١)، والصدرمحمود باشا الدمات(١٣٢) ومن بصحبتهم منفيين بأسباب أنهم هم الذين تسببوا في خلع مولانا السلطان عبدالعزيز خان(١٣٣)، وخنقوه وزعموا أنه قتل نفسه، وكان قد أقيمت عليهم دعوى ذلك بالآستانة، ثم عفا عنهم مولانا السلطان عبدالحميد خان(١٣٤) من القتل، وأمر بالقبض عليهم ونفيهم إلى الطائف... واعتقلوا بالقلعة حتى قتل فيها مدحت باشا ومحمود باشا غيلة، وتركوا الباقي في الحبس مع شيخ الإسلام خير الله أفندي(١٣٥) الذي سبق أن أفتى بخلع السلطان".

كذلك سُجن فيها سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م أمير مكة عبدالمطلب بن غالب - السابقَ ذكره - بعد خلعه(١٣٦).

---

(١٣١) مدحت باشا بن حاجي حافظ أشرف أفندي (أو أحمد مدحت) العثماني، ولد في إسطنبول سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م، تعلم العربية والفارسية وتقلب في وظائف عدة وأصدر الدستور العثماني في أواخر ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، ولم تتفق وجهة نظره مع نظر السلطان عبدالحميد في سياسة الدولة، وتم نفيه إلى قلعة الطائف بالحجاز ثم قتل فيها بعد بضع سنوات سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م. الزركلي - الأعلام جـ ٧ ص ١٩٥، وللمزيد ينظر: أرسلان - الارتسامات اللطاف، ص ٣٥٠. وقد ذكر لي شقيقي في شهر رمضان سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود قدم إليهم في الطائف وفدٌ من الأتراك ومعهم خريطة استدلوا بها على قبر مدحت باشا، ثم نبشوه، وحملوا رفاته إلى تركيا، وكان مدفونا خارج سور الطائف بمكان يقال له: المجزرة باتجاه باب ابن العباس.

(١٣٢) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لي من مصادر.

(١٣٣) هو السلطان عبدالعزيز ابن السلطان محمود الخليفة العثماني رقم ٣٣ ولد سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩م وولي الخلافة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م إلى سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م حيث خلع وقتل، السيد أباظة - تاريخ الملوك العثمانية، ص ١٦٧.

(١٣٤) هو السلطان عبدالحميد خان الثاني ابن السلطان عبدالمجيد الخليفة العثماني، رقم ٣٥، ولد سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م وولي الخلافة سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م إلى سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م حيث خلع وتوفي في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م. المرجع السابق نفسه.

(١٣٥) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لي من مصادر، والأفندي Efendi: كلمة رومية بيزنطية انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة، وهي لقب أطلق على العالم وعلى بعض رجال الدولة، ثم استخدمت لقبًا رسميًا للأمراء العثمانيين وكبار علماء الدين في الدولة.. إلخ. صابان - المرجع السابق، ص ٣٤.

(١٣٦) عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٣٤٢، جـ ٦ ص ٦٨٦.

وأشار المؤرخ التركي أيوب صبري إلى وجود القلعة ولم يصفها(١٣٧).

أما الرحالة محمد صادق باشا فقد حصر مهمتها في قوله(١٣٨): "وقلعة لحبس أهل الجرائم". وهناك تقرير عن القلعة مؤرخ في سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م نصه(١٣٩): "قلعة ذات أربعة أبراج ترتفع عن الثكنة من الجهة اليمانية بأكثر من سبعين مترًا، وهي مركبة من طبقتين وقائمة على جبل، وفي وسط أبراجها أربعة مدافع من طراز كروب مستورة عن الأنظار، في كل برج مدفع، وهذه القلعة مستطيلة الشكل ومملوءة بالجنود، ووراء قلعة الثكنة جبل ابن منديل من جهة اليمن".

وما ورد في هذا التقرير من أن ارتفاع القلعة أكثر من سبعين مترًا، فهذا الرقم مبالغ فيه، ويتضح ذلك من خلال ما سبق ذكره.

وحين زار الطائف خير الدين الزركلي شاهد القلعة ووصفها بقوله(١٤٠): "وقد زرنا قلعتها وهي غير قديمة، بنيت منذ نيف ومئة عام، طول المعمور منها نحو خمسين مترًا وعرضه ٢٥ مترًا. وكانت ذات طبقتين (دورين). فلما نشبت الحرب بين العرب والترك(١٤١) اضطر الأتراك لرفع مدافعهم إلى أعلاها، وأقاموا وراء كل جدار منها ملاصقًا له يقيهم قنابل مقاتليهم من الجبال المحيطة

---

(١٣٧) مرآة جزيرة العرب، ص ١٨٤.

(١٣٨) دليل الحاج، ص ٨٠، إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين، جـ ١ ص ٣٤٦.

(١٣٩) كانت قوة الأتراك في الطائف تتألف في هذه الفترة من ٨٣ ضابطًا و ١٩٨٣ جنديًا و٧٣ موظفًا وعشرة مدافع، وفي مخازن الجيش أكثر من ١٧٠٠ بندقية و٨٠٠ قنبلة وقذيفة و(١٦٠٣١٠٨) رصاصة من رصاص موزر، بالإضافة إلى المسدسات والسلاح الأبيض. إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٩٥، ٩٨.

(١٤٠) زار الزركلي الطائف أكثر من مرة - كما سبق وأشرنا - أولاها عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م، ما رأيت وما سمعت، ص١١٥.

(١٤١) حين قام الشريف حسين بن علي بنهضته عهد إلى ثاني أبنائه الشريف عبدالله بمهاجمة الطائف وإجلاء الترك عنها، فقصدها عبدالله يوم الخميس ٧ شعبان سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥م)، وتم له دخولها يوم ٢٦ ذي القعدة من السنة نفسها بعد أن قاومت ثلاثة أشهر وستة عشر يوما. لمزيد من الاطلاع ينظر عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٩٦.

بالطائف(١٤٢)، بحيث تكون الجدران بضخامتها كالحصون. وبعد أن أتموا بناء الجدران وأصعدوا المدافع، رأوا أن الثقل اشتد على البناء الأسفل وخافوا انهياره، فعمدوا إلى السقف الأعلى فخربوه تخفيفًا، وأزالوا نحو مترين من ارتفاع جدران الطبقة الثانية، فأصبحت القلعة الآن ذات طبقة واحدة أي الطبقة السفلى. وأما الثانية فبقي نحو نصفها ولا سقف لها، وفيها رأينا الغرفة التي كانت سجن مدحت باشا... وهو مدفون في الطائف".

القلعة في العهد السعودي الزاهر:

بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - الطائف عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) قام بتجديد القلعة وجعلها مقرًا للجند النظامي السعودي، فعن ذلك قال شكيب أرسلان الذي زار الطائف سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م(١٤٣): "وأما الجند النظامي السعودي الذي في الحجاز فإنه يقيم... في الطائف بقلعة الطائف... ولقد زرتها وسررت بانتظام الجند الذي فيها... ولقد ازدادت الثقة الآن بحسن قيادة الجيش الحجازي بعد أن عهد بها الملك عبدالعزيز - أيده الله - إلى المجاهد المناضل والعالم الفاضل، فوزي بك القاوقجي(١٤٤) من

---

(١٤٢) الجبال من الشرق الأصحيريين، وسميت فيما بعد البازمين، ودقاق اللوز وهي بعيدة عن الطائف بعض الشيء، ومن الغرب بعض جبال معشي وجبال قروى (الآبار) أم المعين، وأم الآدم، وأم السكارى، ومن الشمال جبل عكابة، وفيه قيادة المنطقة العسكرية في وقتنا هذا - ومن خلفه من جهة الشمال جبل شرقرق وغرب عكابة حجرة أبي صحفه - وبه الآن محطة شركة الكهرباء - ومن خلفه من جهة الشمال جبل أم الشيع ويسمى "حجرة أبو خشيم"، فقد اشتراها عون الرفيق من أبو خشيم الفعر - حي الربوة في الوقت الراهن - وجبال معشي ومن الجنوب جبل المدهون وجبل مجر الشاش وهو في قبلة حي شهار في الوقت الحاضر، وبين هذه الجبال والطائف سهول منبسطة، ينظر الملحق الثاني شكل رقم (٢)، والملحق الثالث اللوحات رقم (٧، ٨، ١٤).

(١٤٣) الارتسامات اللطاف، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(١٤٤) هو سوري الأصل، كان أول رئيس لأركان الجيش السعودي، وبقي في المملكة العربية السعودية من عام ١٩٢٩م إلى ١٩٣٢م، ثم انضم إلى المجاهدين الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوني، كما شارك في الحرب العالمية الثانية.

نخبة ضباط العرب - وفقه الله - لتحقيق آمال العرب في القوة النظامية السعودية".

أما وصف القلعة من الداخل في هذا العهد الميمون، فإنها تتكون من مدخل رئيس يطل على ميدان باب الريع من جهة الجنوب الشرقي، وكان الدور الأول عبارة عن سكن ضباط الصف والكتبة وبعض الأفراد، أما الدور الثاني فكان سكنًا لثلاث فصائل، الفصيل الأول والثاني والثالث، وبالسطح أبراج عدة للمراقبة والرمي وحماية المدينة، وللقلعة أقبية (غرف تحت الأرض) استخدمت إسطبلات للخيول، وحفظ العلوفة، ولها ساحة داخلية، وعن يمين البوابة الرئيسة من الداخل توجد حديقة ومكتب القيادة والمسجد ومركز صيانة المعدات الآلية فيما بعد، وأضحت أخيرًا مقرًا للبوليس الحربي (الشرطة العسكرية) بقيادة الرئيس (النقيب) محمد علي عجيب، وكان على البوابة الرئيسة من الخارج من جهتي اليمين واليسار مدفعان يطلقان الذخيرة في رمضان لإعلام سكان المدينة بأوقات الإفطار والإمساك كما يطلقان في الأعياد والمناسبات(١٤٥).

واستمرت القلعة معلمًا حضاريًا عسكريًا إلى أن أزيلت سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م(١٤٦).

ثالثًا - الثكنة العسكرية (القشلة):

بناء الثكنة:

لا نعلم على وجه التحديد متى تم بناء الثكنة العسكرية (القشلة)، إلا أن أول ذكر لها أتى لدينا - من بعض المصادر المحلية التي بين

---

(١٤٥) رواية العميد متقاعد السيد زيد العباسي، والعميد متقاعد محمد علي بن عبود الشهراني.

(١٤٦) آل كمال محمد سعيد - الأزهار النادية، ص ٨٥. قلت: ومنحت الدولة أرضها بعد إزالتها، فالجزء الشرقي لم يعمر إلى وقتنا الحاضر وهو ملك ورثة الشربتلي، أمَّا الجزء الغربي فمنحته لقائد منطقة الطائف العسكرية سابقا سليمان الجارد، وفيه عمارته إلى الآن، ينظر الملحق الثالث لوحة رقم (١٢).

أيدينا - كان في سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وعليه أرجح أنها شيدت أواخر القرن ١٣هـ / ١٩م تقريبًا(١٤٧).

ولعل السبب في ذلك هو إخفاء الدولة العثمانية لأمر هذه الثكنة عن الأعداء، ويؤيد هذا القول أنه أنشئ بجانبها من الداخل مستشفى للجند (خستخانة) عرفت بها في البداية، وكما هو معلوم أن المستشفيات لا تهاجم في الحروب دوليًا(١٤٨).

موقع الثكنة:

تقع الثكنة غربي الطائف القديم خارج السور، أي أن الطائف يحدها من جهة الشرق، ويحدها من جهة الغرب سهل منبسط، ذكره شكيب أرسلان بقوله(١٤٩): "وأمامها سهل منبسط مستو كخد الحصان لا يجتازه الماشي من باب القشلة إلى آخره في أقل من عشرين دقيقة". وفي غرب السهل جبال معشي وقروى (الآبار) وكل من جبل أم المعين، وأم الآدم، وأم السكارى. ومن الشمال السهل الأفيح(١٥٠) وبطرفه من الشمال جبل عكابة، وأبي صحفة، ومن الجنوب الشرقي والجنوب، القلعة، وحي الشيبية من طرف السلامة.

وصف الثكنة:

وصفها شكيب أرسلان بقوله(١٥١): "إن الدولة العثمانية قد شيدت في الطائف ثكنة عسكرية من أعظم ثكن الجند في العالم... ولقد

---

(١٤٧) دحلان - خلاصة الكلام، ص ٣٢٩.

(١٤٨) إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين، جـ ١ ص ٣٤٦، أرسلان - الارتسامات اللطاف. ص ٣٤٩، وذكر لي هذه المعلومة د. عبدالمجيد إسماعيل داغستاني أحد المهتمين بتاريخ الطائف، وأكدها لي د. هشام محمد علي عجيمي خلال دراسته لقلعة فلفل بمكة المكرمة في الفترة نفسها.

(١٤٩) الارتسامات اللطاف، ص ٣٤٠. وينظر الملحق الثاني شكل رقم (١).

(١٥٠) اتخذ أبناء الطائف هذا السهل منذ القدم مصلى للعيد، وفيه الآن مسجد الطائف الكبير ينظر الملحق الثالث اللوحتان رقم (٧، ٨).

(١٥١) المرجع السابق نفسه.

كلف بناء هذه الثكنة الدولة العثمانية مبالغ طائلة".

وتأخذ الثكنة شكل مربع تقريبًا، طول الضلع من الشرق إلى الغرب نيف وثلاثمئة متر تقريبًا، ومن الشمال إلى الجنوب نحو ذلك، أمَّا مساحة ساحتها الداخلية المكشوفة فتبلغ نحو مئتين وخمسين مترا طولا ومثلها عرضًا تقريبًا، وليس فيها أبنية مرتفعة، وهي عبارة عن طبقة واحدة(١٥٢).

واستخدم في البناء الحجر الخالص المستقطع من الجبال المحيطة بها وبخاصة جبل أم السكارى، فآثار القطع ظاهرة فيه إلى الآن. وقد اصطف نحو ألف رجل منه إلى موقع البناء، فكان كل رجل منهم يناول الحجر للذي يليه، وهكذا إلى أن تم البناء(١٥٣).

كانت غرف الثكنة - مأوى الجند النظامي - تحيط بالبناء من جهاته الأربع، أبوابها مشرعة على الساحة الداخلية التي في جانبها مستشفى متقن، وفي وسط ميدان الثكنة الفسيح قصر لاجتماع أمراء الجيش، وبئر ماء لسقيا الجند، ولها مدخلان رئيسان أحدهما يقع في منتصف الضلع الشمالي، والآخر في منتصف الضلع الغربي، وفيهما العديد من النوافذ مستطيلة الشكل، رأسية الوضع، مثبت بها شبابيك من الحديد، ويحف بالنوافذ من الخارج عقود نصف دائرية،

---

(١٥٢) جعلها الزركلي على شكل مستطيل طولها كما هو بالمتن وعرضها نحو (٢٥٠م) وقول أرسلان وعبدالله وغازي المكي أقرب للصواب. أرسلان - المرجع السابق نفسه، غازي المكي - إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٩٨. الزركلي - ما رأيت وما سمعت، ص ١١٥. وينظر الملحق الثاني شكل رقم (١)، والملحق الثالث اللوحات رقم (١٣، ١٤، ١٥، ١٦).

(١٥٣) ذكر لي هذه المعلومة د. عبدالمجيد داغستاني، وأكدها د. هشام عجيمي من خلال دراسته للقلاع العثمانية - دراسة حضارية معمارية - في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية حيث حصل فيها على درجتي الماجستير والدكتوراه، وقال ما نصه: "ألف بنا وألف دنًّا وألف بالقدوم غَنَّ" أي: ألف يعملون في البناء، وألف يقربون مواد البناء، وألف يهذبون الحجارة بالقدوم، ويتغنون بالأهاجيز في أثناء العمل.

كما يوجد لهذه الثكنة ميازيب عديدة فتحاتها نحو الخارج لتصريف مياه الأمطار(١٥٤). ولها طرق سرية أرضية أحدها الذي يربط بينها وبين القلعة السابق ذكرها، والثاني يربط بينها وبين المدينة، والثالث يربط بينها وبين الجبال المحيطة(١٥٥).

وتتسع الثكنة لأربعة طوابير(١٥٦)، فقد جاء في الكتاب السنوي للولايات العثمانية عن الطائف من ولاية الحجاز سنة ١٣٠٣هـ الموافق (١٨٨٤م - ١٨٨٥م) ما نصه(١٥٧): "وفيها - أي الطائف - قلعة واحدة، وقشلة تستوعب أربعة طوابير من العسكر الشاهانة(١٥٨)، جدد تعميرها منذ سنين حضرة الوالي المفخم ونسبها إلى الاسم الجليل الملوكي".

من النص السابق نستطيع القول بأن الثكنة (القشلة) تستوعب أربعة آلاف عسكري من الجند النظامي (الحكومي)؛ لأن الطابور في المصطلح العسكري عبارة عن ألف من الجند.

وكان تجديدها في سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٣م)؛ ففي هذه الفترة كان الوالي العثماني على الحجاز عثمان نوري باشا(١٥٩)، وأمير مكة الشريف

---

(١٥٤) أرسلان - المرجع السابق نفسه، ورواية العميد متقاعد السيد زيد العباسي، ينظر الملحق الأول شكل رقم (١)، والملحق الثالث اللوحات رقم (١٣، ١٤، ١٥، ١٦).

(١٥٥) عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٤ ص ١٠٠، ١٠١، العباسي - نفسه.

(١٥٦) طابور Tabur: صف من الناس يقف بعضهم وراء بعض أو الوحدة العسكرية من المشاة في الجيش العثماني، وكانت تضم أربع فرق، ويختلف عدد الفرقة باختلاف المعسكر. صابان - المعجم، ص ١٤٧.

(١٥٧) حجاز، ص ١٩١.

(١٥٨) شاه Shah: لقب استخدم أحيانا للسلاطين العثمانيين، صابان - المعجم، ص ١٣٩.

(١٥٩) ولي أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وعزل عن الولاية بعد خمس سنوات، وعين واليا على اليمن ثم أعيد إلى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات)، وهو الذي أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد الثكنات العسكرية بمكة وجدة وأنشأ سور ينبع.. إلخ. رفعت باشا: مرآة الحرمين، جـ ١ ص ١٩٧، عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٣ ص ٢١٤، جـ ٤ ص ٣٤٤، ٣٤٥، جـ ٦ ص ٦٨٣، ٦٨٥.

عون الرفيق(١٦٠)، وجاء نسبة تجديد عمارتها للسلطان عبدالحميد الثاني ابن عبدالمجيد الذي كان سلطانًا حينئذ، وأكد اتساعها لأربعة طوابير المؤرخ التركي أيوب صبري باشا في حديثه عن الطائف بقوله(١٦١): "وبها معسكر همايوني(١٦٢) يتسع لأربعة طوابير من الجنود".

وأتى على ذكر (القشلة) الرحالة محمد صادق باشا ولم يصفها لنا(١٦٣)، وقد كانت تقام فيها الحفلات والاستعراضات في المناسبات العسكرية من قبل الضباط والجند(١٦٤).

الثكنة في العهد السعودي الزاهر:

بعد دخول الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الطائف سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م كانت جميع أبنية الثكنة خربة، فحينما زار شكيب أرسلان الطائف سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م ذكر الثكنة(١٦٥) بما نصه: "وجميع هذه الأبنية لا تزال ماثلة لا ينبغي لها إلا بعض ترميمات غير ذات بال. لقد علمت من حديث دار بيني وبين سمو الأمير المهذب الكامل فيصل بن عبدالعزيز - ثاني أنجال جلالة الملك ونائب جلالته في الحجاز(١٦٦) - أن ترميم المستشفى وإعادته كما كان من الأمور المقررة، وكذلك ترميم

---

(١٦٠) عون الرفيق باشا بن محمد بن عبدالمعين بن عون، شريف حسني من أمراء مكة ولد فيها سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤١م، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى الآستانة سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، ولقب فيها بالوزارة وولي مكة سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م بعد انفصال الشريف عبدالمطلب بن غالب عنها، فعاد إليها، وخلا له الجو، فتصرف بشؤونها تصرف المستقل المالك، وامتد حكمه إلى أن توفي بالطائف سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م. الزركلي - الأعلام، جـ ٥ ص ٩٧.

(١٦١) مرآة جزيرة العرب، ص ١٨٤.

(١٦٢) همايون Humayun: كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية، كان يستخدم مضافا للمتعلقات الخاصة بالسلاطين. صابان - المعجم، ص ٢٢٦.

(١٦٣) دليل الحاج، ص ٨٠.

(١٦٤) عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٣١٥.

(١٦٥) الارتسامات اللطاف، ص ٣٤٩.

(١٦٦) هو ثالث أنجال الملك عبدالعزيز، أمَّا أول أنجاله فتركي وبه كان يكنى، وثاني أنجاله سعود - الملك فيما بعد - رحمهم الله جميعا.

القصر في وسط الميدان بحيث يجلس فيه الملك عندما يجيء إلى الطائف، وأنهم ينوون نقل جميع دوائر الحكومة في الصيف إلى الثكنة، وكذلك دوائر إمارة الطائف. وهذا لعمري من الأمور التي ينبغي المبادرة إليها وقاية للثكنة من التداعي؛ لأن كل بناء مهجور، محكوم عليه بالدثور... فكلما تأخرت إقامة الحكومة بالثكنة ازدادت على الحكومة الحجازية النجدية(١٦٧) كلفة تجديدها".

وقد اتخذت الحكومة السعودية - فيما بعد - جزءًا من الثكنة مع القلعة مقرًا لبعض وحدات الجيش السعودي بالإضافة إلى بعض الدوائر الحكومية.

ففي شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وصلت الطائف ثلاث طائرات، وأعد مكان لنزولها بالسهل الأفيح شمال الثكنة، وكان في استقبالها جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ومعه بعض من أهالي الطائف، فَجُعِلَ لها من الثكنة في الجهة الغربية مرآب (كراج) بجوار نادي الضباط الذي بني فيما بعد(١٦٨).

ففي شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وصلت الطائف ثلاث طائرات، وكان في استقبالها جلالة الملك عبدالعزيز

وفي عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م شكلت وكالة الدفاع والطيران وكان مقرها الطائف، وفي العام التالي فتحت المدارس العسكرية للضباط(١٦٩).

---

(١٦٧) كان يطلق على الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ألقاب عدة منها: أمير نجد ورئيس عشائرها، ووالي نجد وقائدها عبدالعزيز باشا، وصاحب العظمة سلطان نجد، وعظمة سلطان نجد وملحقاتها، وجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ثم أخيرا في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية. الزركلي - الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط ٥، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨ م، نشر دار العلم ببيروت، ص ٢٤٧.

(١٦٨) عبدالله غازي - إفادة الأنام، جـ ٥ ص ٣٦٤، ٣٦٥، ورواية العميد متقاعد السيد زيد العباسي. وينظر الملحق الثالث اللوحتان رقم (٧. ١٣).

(١٦٩) آل كمال سليمان - التعليم في الطائف، ص ٦٩.

وشرعت وزارة المالية في ١٣٥٥/٥/٢٦هـ الموافق ١٩٣٦/٨/١٤م في تعمير الثكنة العسكرية لجعلها صالحة لأن تكون مقرًا لكل دوائر الحكومة مدة الاصطياف، علاوة على تخصيص جانب منها للجنود(١٧٠).

وفي ربيع الثاني عام ١٣٦٥هـ/ ٦ مارس ١٩٤٦م، أنشئت وزارة الدفاع، وعُيّن أول وزير لها صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبدالعزيز - رحمه الله - برتبة فريق أول، فكان مقره بالثكنة(١٧١)، وكانت الاحتفالات العسكرية للجيش تقام فيها، ومنها تم في سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م تكريم المجاهدين الشهداء في حرب فلسطين، كما أنشئ فيها نادٍ للضباط(١٧٢).

واستمرت الثكنة العسكرية بالطائف بأداء مهمتها، مقرًا لوزارة الدفاع وبعض وحدات القوات السعودية إلى أن انتقلت منها إلى الرياض عام١٣٧١هـ / ١٩٥١م، وعندما قامت النهضة الحضارية الشاملة، أزيلت الثكنة بالكامل في سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، وقام مكانها في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م المبنى الحديث الفخم لمجلس الوزراء الموقر، ومجمع بعض الوزارات الحكومية التي تقدم إلى الطائف في فصل الصيف من كل عام(١٧٣).

رابعًا - بعض الحاميات العسكرية في الجبال المحيطة بالطائف:

قامت الحكومة العثمانية بعمل بعض الحاميات العسكرية بالجبال المحيطة بالمدينة، والقلعة والثكنة (القشلة) بمثابة خط دفاعي أول،

---

(١٧٠) دارة الملك عبدالعزيز - الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى جـ ١ ص ٤١٨ نقلاً عن العدد (٦١٠) السنة (١٣).

(١٧١) ولد في الرياض سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م، وتوفي في أثناء علاجه بباريس سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ودفن بمكة المكرمة. الزركلي - الوجيز، ص ٣٤٩، آل كمال: سليمان - المرجع السابق ص ٦٩.

(١٧٢) الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى، جـ ٢ ص ٨٢١، ٨٢٢.

(١٧٣) الجودي: صالح بن غازي (معاصر) - الطائف بين الموروثات والمستجدات، ط ١، عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، نشر دار الحارثي بالطائف، ص ١٣٥.

وحماية من أي حصار قد تتعرض له هذه المنشآت، فنرى من الجهة الشرقية حامية كان موقعها بهضبة الشهداء(١٧٤)، وهضبة دقاق اللوز(١٧٥)، ومن الجهة الغربية حامية كان موقعها بجبل أم السكارى، ومن الجهة الشمالية حاميات منها بقمّة جبل عكابة ثلاثة أبراج: اثنان من الجهة الشرقية وواحد في الجهة الغربية الجنوبية، وهذه الأبراج تأخذ شكلاً دائريًا، وهي مبنية بالحجارة المرصوصة رصًا جيدًا، ويمتد بينها جدار محكم البناء محفور فيه يتّسع لنحو (١٥٠) مقاتلاً، وهو مسقوف بالحديد جُعل له متاريس متقنة يحتمي بها الجند(١٧٦). وكذلك الحال في جبلي أبي صحفة ومعشي بغرب عكابة، وقد جعل لهذه الجبال خنادق حلزونية مسقوفة من سفوحها إلى أسفلها مع المتاريس، وزودت هذه الحاميات بالسلاح كالمدافع والبنادق وغيرهما(١٧٧).

كما عمل الشريف عبدالمطلب بن غالب أمير مكة سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م على قمة جبل صغير بالمثناة التي تقع في الجهة الغربية الجنوبية من سور المدنية والقلعة والثكنة و(القشلة) بناءً محصنًا منيعًا بأبراج، فيه قلعة سماها مشرفة؛ لإشرافها على المنطقة المحيطة بمزارع البهجة من الشمال، ومزارع وادي وَجّ من المثناة المتعددة من جهة الجنوب، وذلك لصد الهجمات التي قد تأتي

---

(١٧٤) وتعرف الآن بحي الشهداء الشمالية والجنوبية.

(١٧٥) وموقعها الآن بين حي الشهداء الشمالية من الجنوب وحي الريان من الشمال.

(١٧٦) فيه قيادة المنطقة العسكرية الآن، ينظر الملحق الثالث لوحة رقم (٢)، فعندما نشبت الحرب بين العرب والترك أيام النهضة، كان الترك متحصنين بجبل عكابة، فأخذ العرب يرمونهم من قصر شبرا وهو بشرقه وجبل شرقرق وهو بشماله، حيث أجلوهم عن مواقعهم وفي ذلك يقول أحد شعراء البادية:

عُكَابَه رَمَوْكْ من شَرَقْرِقْ وشُبْرا بُبْنَدُقْ مَيَازِرْ
وَلا والله فَتَكْ فِيكْ تَظَلّيّنْ عِبْرَهْ لِكلِّ النَّواظِرْ

الزركلي – ما رأيت وما سمعت ص ١٣٧.

(١٧٧) عبدالله غازي – إفادة الأنام، جـ ٤ ص ٩٧، ١٠٠، ١٠١.

للمدينة والمنشآت العسكرية من هذه الجهة(١٧٨).

مما سبق عرضه تم بيان تحصينات الطائف العسكرية، وأثرها الحضاري المعماري في الدفاع عن المدينة لحمايتها، مع ذكر ما جرى لهذه المنشآت الحربية من زيادة وإصلاح وتعمير خلال فترة البحث.

---

(١٧٨) دحلان - خلاصة الكلام ص ٣١٧، الحضراوي - اللطائف الورقتان (٨٣، ٨٤). عبدالله غازي - المصدر السابق، جـ ٦ ص ٦٤٥، وينظر الملحق الثالث اللوحتان رقم (١٧) موقع جبل القلعة بعد إزالتها.

الملحقات

الملحق الأول: الوثائق (*)

١- السور:

سور الطائف(١٧٩):

في ١٠ ربيع أول سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) حرر كشف لترميم سور الطائف نزولاً لإرادة والي الحجاز عثمان باشا وقعه قاضي الطائف مصطفى القاضي وأمين الزكاة عبدالقادر بن حريب وعبدالله حاكم الطائف(١٨٠) ومحمد أفندي شويه أمين البنا(١٨١)، وحضره كافة معلمين البناء بالطائف.

وبلغت التكلفة ١٠٣٢٤٣,٢٠ قرش وورد بالكشف التالي(١٨٢):

بيان عن الصور(١٨٣) الحايط بالبلدة:

من جهة الشرق ٦٨٢ ذراع

من جهة الغرب ٧٩٨ ذراع

من جهة الشام(١٨٤) ٧٣٧ ذ

من جهة اليمن(١٨٥) ٦٢٢ ذ.

(*) لم تصحح الوثائق محافظة على قيمتها التاريخية.

(١٧٩) مصدر الوثيقة أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي، التصنيف جودت عسكري مضبطة رقم (٣)، رقم الوثيقة (٣٧٥٠٤)، تاريخها سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م).

(١٨٠) سبق التعريف بالشخصيات التي بالمتن.

(١٨١) هكذا وردت الكلمة في الوثيقة، والصحيح بالهمز (البناء).

(١٨٢) المصدر السابق نفسه.

(١٨٣) هكذا وردت الكلمة في الوثيقة، والصحيح بالسين (السور).

(١٨٤) أي الشمال.

(١٨٥) أي الجنوب.

أبراج الربع الشرقي عدد ٦، أبراج الشامي(١٨٦) عدد ٦، أبراج الغربي عدد ٦، أبراج اليماني(١٨٧) عدد ٥، منها خراب عدد ٨، ارتفاع الصور(١٨٨) ٨ ذ، عرضه ٣ ذ

احتياج الصرف على الصور(١٨٨) والأبراج في الخراب الذي فيها

أيام	معلمين	قراريه(١٨٩)	عمال	سقايه(١٩٠)	نجار
٥٠	١٠×٥	٢٠ر	٤٠	٨	١
	٥٠ ق	٥٠ ق	٨٠ ق	٢٠ ق	٥ قرش يكون ١٠٢٥٠ قرش

مشتروات:

لبن	١٥٠٠٠٠	بقيمة ٩٠٠٠ قرش
حبال	١٥٠	بقيمة ٣٠٠ قرش
حجر	١٥٠٠٠	بقيمة ٩٠٠ قرش
مراكن(١٩١)	٤٠	بقيمة ٦٠ قرش
خشب جوز(١٩٢)	٤٠٠	بقيمة ١٢٠٠ قرش

---

(١٨٦) أي الشمالي.

(١٨٧) أي الجنوبي.

(١٨٨) هكذا وردت، والصحيح بالسين (السور).

(١٨٩) القراري: مساعد المعلم، يقوم بهندسة الأحجار، والحجر الصوان الطائفي معالجة خاصة بخلاف الحجر المنقبي البحري والشبيكي في كل مدن الحجاز، ويستخدم في تهذيبه القزمة. بديره - السليمانيون، ص ٢٤٠.

(١٩٠) الشخص الذي يؤمن الماء بحمله بنفسه أو على الدابة.

(١٩١) المركن: عبارة عن إناء من الحديد لحمل الطين له أياد وطنف من جميع الجهات إلا جهة واحدة يسكب منها الطين، ويشبه في وقتنا الحاضر الكروانا، رواية السيد زيد العباسي.

(١٩٢) الخشبة التي يوضع عليها أطراف الخشب في سقف البيت. ابن منظور - لسان العرب، مادة (جوز).

نوره مكي(١٩٣) ٢٥ أردب(١٩٤)	بقيمة ٤٥٠ قرش
بطن(١٩٥) ٨٠٠٠	بقيمة ٢٤٠ قرش
أزيار تقضي(١٩٦) الشغل	١٠ قرش
أحمال حلفا(١٩٧) ١٦	بقيمة ١٦٠ قرش يكون ٢٥١٠ غير قيمة الأزيار
مكاتل(١٩٨) ٦٠٠	بقيمة ٢٠٠ قرش

---

(١٩٣) أي تنسب إلى مكة المكرمة، حيث ظهرت صناعة النورة بها منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁ (٤٠ – ٦٠هـ/ ٦٦٠ – ٦٨٠م)، واستمر استخدامها وتصنيعها بمكة إلى عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

للمزيد ينظر: غباشي: عادل محمد نور (معاصر) مصانع النورة بمكة المكرمة طرازها المعماري ونتاجها الصناعي حتى نهاية العصر العثماني، بحث محكم منشور في مجلة الدارة العدد الأول، المحرم ١٤١٨هـ السنة الثالثة والعشرون، ص ٥٥ وما بعدها.

(١٩٤) الأردب وجمعه أرادب: مكيال ضخم لأهل مصر ورد ذكره في عصر الفاروق ﵁، ويمكن تسميته بالأردب الشرعي؛ إذ إنه يقابل الجريب ويقابل المدي في العراق والشام، ويعادل ٥٢,١٤٠ كيلو غراما. ابن الرفعة: أبو العباس نجم الدين (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) – الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق د. محمد أحمد الخاروف، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة الملك عبدالعزيز سابقًا أم القرى حاليًا، ص٧١ هامش (١).

(١٩٥) البطن: عبارة عن عيدان رفيعة مستقيمة من العرر بطول ما بين متر، ومتر ونصف تقريبًا، توضع فوق أخشاب السقف بطريقة عرضية ثم توضع من فوقها الحلفاء، ثم الطين والنورة، رواية السيد زيد العباسي.

(١٩٦) أزيار جمع مفردها زير: عبارة عن شكل دائري من الأعلى ومخروطي من الأسفل مصنوع من الفخار كبير الحجم يبرد فيه ماء الشرب عن طريق الترشيح.

(١٩٧) الحلفاء: نبت أطرافه محدَّدة كأنها أطراف سعف النخل والخوص، ينبت في مغايض الماء والنزوز، الواحدة حلفة، قال سيبويه: الحلفاء واحد وجمع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلف).

(١٩٨) المكتل والمكتلة الزَّنبيل الكبير الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين، أو التراب وغيره ويسع عشرة أصواع. المصدر السابق نفسه، مادة كتل.

٢- القلعة:

أ - قلعة عثمان بالطائف(١٩٩):

كشف عن العمارة في قلعة الطايف الفوقانية المشهورة بقلعة عثمان(٢٠٠).

ارتفاعها ٤٠ذ، وطولها من جهة الشرق إلى اليمن(٢٠١) ٤٠ذ، ومن اليمن إلى الشام(٢٠٢) ٤٠ ذ، ومن الشام الى المغرب(٢٠٣) ٤٠ذ، ومن المغرب إلى اليمن ٤٠ذ.

القلعة المذكورة علوها خراب، وسفلها عامر، وفيها أربعة أبراج اثنين عامرة واثنين خربه يحتاج لها عمارة.

أول ما يكون احتياج الهد:

أيام	قرارية	عمال	سقا	يومية ٦٧ قرش يكون ١٠١٢٠ قرش
١٥	١٠×٢٠	٢٠×٢	١×٢	

بنيان:

أيام	معلمين	قرارية	عمال	سقاية	يومية
٩٠	١٠×٥	٢٠×٢	٥٠×٢	٥ × -٢	-٢١٢ يكون ١٦١٢٥ قرش
	٥٠	٥٠	١٠٠	-١٢	

---

(١٩٩) سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م) جودت عسكري ٣٧٥٠٤ / ٣.

(٢٠٠) سبق التعريف به.

(٢٠١) أي الجنوب.

(٢٠٢) أي الشمال.

(٢٠٣) أي الغرب.

مشتروات:

لبن	حجر	خشب جوز	شلال(٢٠٤)	بطن	حلفا احمال
٦٠×٣٠٠٠٠	٦٠× ١٠٠٠٠	٣×٢٠٠	٢×١٠٠	٣×٥٠٠٠	١٠×٢٠
١٨٠٠ قرش	٦٠٠ قرش	٦٠٠ قرش	٢٠٠ قرش	١٥٠ قرش	٢٠٠ قرش

مراكن	مكاتل	حبال	حديد قنطار(٢٠٥)	فرشات
٦٠× –١	٦٠٠	١٥٠ × ٢	–١	٢٥٠× –١ يكون (تم)
٩٠ قرش	٢٠٠ قرش	٣٠٠	٣٧٥قرش	٤٥١٥

غير قيمت (٢٠٦) الحديد –٢٤٦٥٢

ب – قلعة (باب الريع)(٢٠٧):

كشف عن الإشراف على القلعة الذي فيها محمد علي أغا وجماعته فيها خراب قيمة طبقتين: ارتفاعه ٢٢ ذراع ومن جهت(٢٠٨) الشرق من البرج إلى البرج ٥٥ ذراع والباب فيه، ومن جهت(٢٠٨) اليمن إلى البرج الخراب ٥٠ ذراع ومن جهت(٢٠٨) الغرب ٥٥ ذراع ومن جهت (٢٠٨) الشام ٥٠ ذراع.

في القلعة المذكورة في الجهة الغربية خراب بطول٢٥ ذراع عرض الخراب ١٦ذراع.

---

(٢٠٤) الشلال: عبارة عن كوم لحاء شجر العرر يوضع على البطن ويحزم به. رواية السيد زيد العباسي.

(٢٠٥) قنطار Kantar: زنة قديمة تساوي ٤٤ أوقية أي تساوي ٥٦,٤٤٤ كيلو غرام. صابان – المعجم، ص ١٨٥.

(٢٠٦) هكذا وردت الكلمة في الوثيقة، والصحيح بالتاء المربوطة (قيمة).

(٢٠٧) سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م) المصدر السابق نفسه، وسبق التعريف بالريع.

(٢٠٨) هكذا وردت الكلمة في الوثيقة بالتاء المفتوحة، والصحيح (جهة).

احتياج الهد:

أيام	قرارية	عمال	
١٠	١٠ × ٢-	١٥ × ٢	
	٢٥ قرش	٣٠ قرش	يكون ٥٧٥ غرش (٢٠٩)

بنيان:

أيام	معلمين	قرارية	عمال	سقايه
٣٠	١٠ × ٥	١٥ × ٢–	٣٠ × ٢	٥ × ٢–
	٥٠ قرش	–٣٧ قرش	٦٠ قرش	–١٢

أيام ٣٠ × ١٦٠ = ٤٨٠٠ قرش

مشتروات:

لبن	خشب جوز	شلال عرر (٢١٠)	حلفا أحمال	بطن
؟	٢٠ × ٢	٨ × ٢	٤ × ١٠	٥٠٠ × ٣
	٤٠ قرش	١٦ قرش	٤٠ غرش	١٥ غرش

مراكن	مكاتل	فرشات	نوره مكي	
٦٠ × ١-	٦٠٠	٢٥٠ × ١٠	؟ × ١٨	
٩٠ غرش	٣٠٠ غرش	٣٧٥ غرش	؟	يكون ٢٣٩٦

---

(٢٠٩) تأتي الكلمة كما هو بالمتن بالغين (غرش) ومرة أخرى بالقاف (قرش) وهو الصحيح.

(٢١٠) العَرْعَر: شجر يقال له: الساسم، ويقال له: الشِّيزى، ويقال: هو شجر يُعْمل به القطران، ويقال: هو شجر عظيم جَبَلِيّ لا يزال أخضر تسميه الفُرْسُ السَّرْوَ، وله ثمر أمثال النبق يبدو أخضر ثم يَبْيَضُّ ثم يَسْوَدُّ حتى يكون كالحُمَم ويحلُو فيؤكل، واحدته عَرْعَرةٌ. ابن منظور – لسان العرب، مادة (عرر). قلت: هو من فصيلة الصنوبريات بري، ينبت بمنطقتي الهدا والشفا من جبال الطائف.

كشف عن الصور(٢١١) الداير على البيت المذكور أعلاه والقلعة والجبخانة والشونة(٢١٢) طوله ٥٧٥ ذراع، ارتفاعه ٧ أذرع، عرضه ٣ أذرع

مصرف أيام بنيان	قرارية	عمال	سقايه
٢٠	١٥	٤٠	٥

مشتروات:

لبن	حجـر	خشب جوز	بطن
٦٠ × ٢١٠٠	٦٠ × ٥٠٠٠	٣ × ٢١٠	٣٠ × ٤٥٠٠
١٣٦٠غرش	٣٠٠٠ غرش	٦٣٠ غرش	١٣٥ غرش

حلفا أحمال

١١ × ١٠

١١٠ غرش تمت ٢٤٣٥

لزوم الهد في الصور(٢١١) المذكور:

قرارية	عمال	يومية
١٠ × ٢-	١٥ × ٢	٥٥ غرش يكون ٢٧٥ غرش إجمالي ٦٣١٠ غرش
٢٥ غرش	٣٠	

---

(٢١١) هكذا وردت والصحيح بالسين (السور).

(٢١٢) سبق التعريف بهما.

الملحق الثاني: الأشكال

شكل رقم (١)

خريطة توضح خطط الطائف في أواخر العصر العثماني ونرى فيها السور
والأبواب والأبراج والقلعة والثكنة (القشلة)
مع ملاحظة عدم الدقة في بعض المواضع والاتجاهات نقلاً عن: Taif, P. 49.

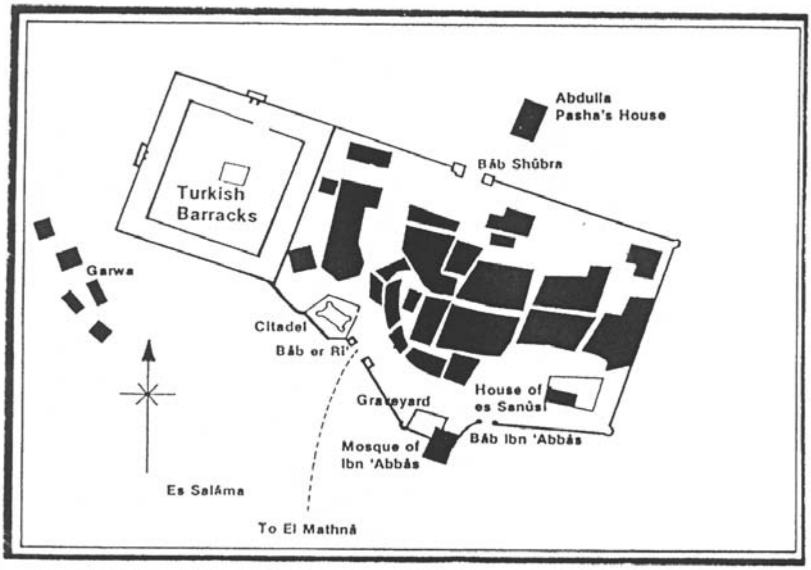
Abdulla Pasha's House
Bâb Shûbra
Turkish Barracks
Garwa
Citadel
Bâb er Ri'
Graveyard
House of es Sanûsi
Bâb Ibn 'Abbâs
Mosque of Ibn 'Abbâs
Es Salâma
To El Mathnâ

شكل رقم (٢)

خريطة توضح خطط الطائف والمناطق المحيطة في أواخر العصر العثماني

سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م.

نقلاً عن: داغستاني - الطائف ص ٣٧

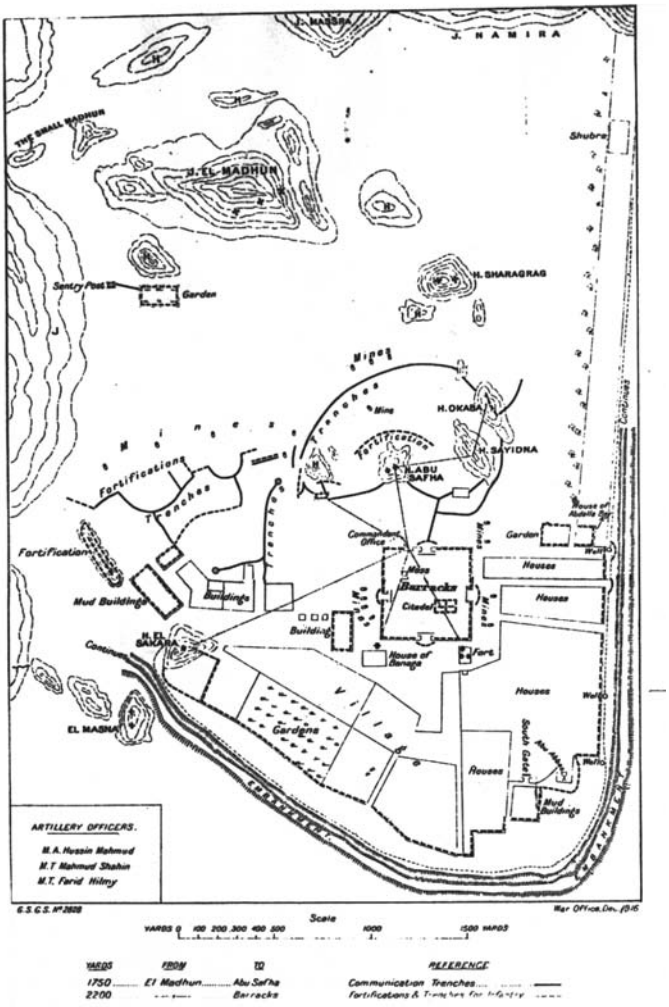
J. HASSRA
J. NAMIRA
THE SMALL MADHUN
J. EL MADHUN
Shubra
H. SHARAGRAG
Sentry Post
Garden
J
Mines
Trenches
Mine
H. OKABA
Fortification
H. SAYIDNA
ABU SAFHA
Fortifications
Trenches
Continues
House of Abdalla Bey
Garden
Commandant Office
Mess
Barracks
Citadel
Mines
Houses
Wells
Fortification
Mud Buildings
Buildings
Building
H. EL SAKARA
Continues
House of Banaga
Fort
Villas
Gardens
EL MASNA
Houses
South Gate
Abu Abbas
Mud Buildings
EMBANKMENT
ARTILLERY OFFICERS.
M. A. Hussin Mahmud
M. T Mahmud Shahin
M. T. Farid Hilmy
G.S.G.S. Nº 2808
War Office, Dec. 1916
Scale
YARDS 0 100 200 300 400 500 1000 1500 YARDS
YARDS FROM TO
1750 El Madhun Abu Safha
2200 Barracks
REFERENCE
Communication Trenches
Fortifications & Trenches for Infantry

الملحق الثالث : اللوحات

لوحة رقم (١)
منظر حصن حربي متأخر بالهدا لقبيلة النمور من ثقيف
(مجموعة د. سليمان آل كمال)

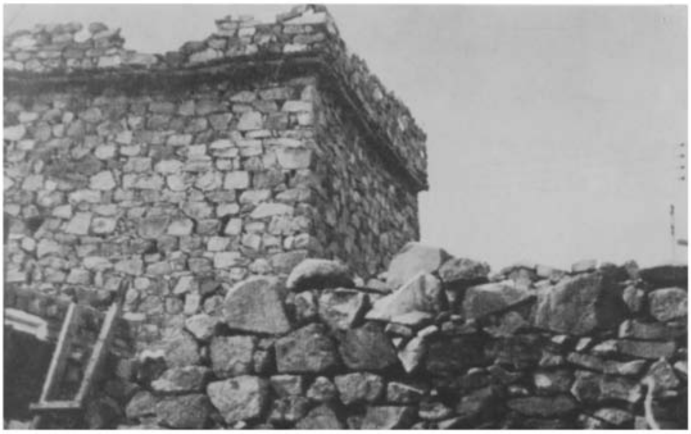

لوحة رقم (٢)
حصن عسكري عثماني مشيد بقمة جبل عكابة بموقعه الآن قيادة منطقة الطائف العسكرية.
نقلاً عن: حسان آل كمال - بلدية الطائف ص ٢٤

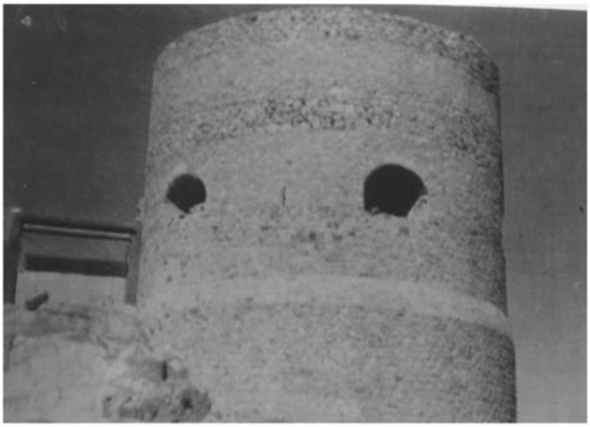

لوحة رقم (٣)

سور الطائف وأحد الأبراج من الجهة الشرقية الجنوبية قبل هدمه سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م ويُرَى بداخله حي السليمانية وحمامه العام.

نقلاً عن: داغستاني - الطائف ص ٣٦ (مجموعة نالينو)

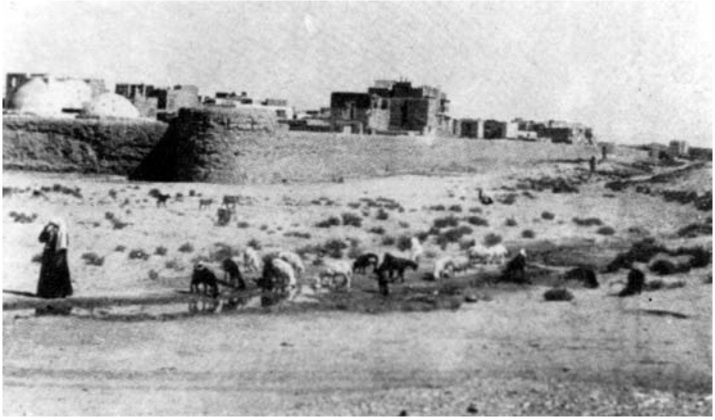

لوحة رقم (٤)

سور الطائف وبداخله مسجد عبدالله بن العباس وبجواره من الجهة اليمنى باب السور المسمى بباب ابن العباس.

نقلاً عن: داغستاني - الطائف ص ٣٦ (مجموعة نالينو)

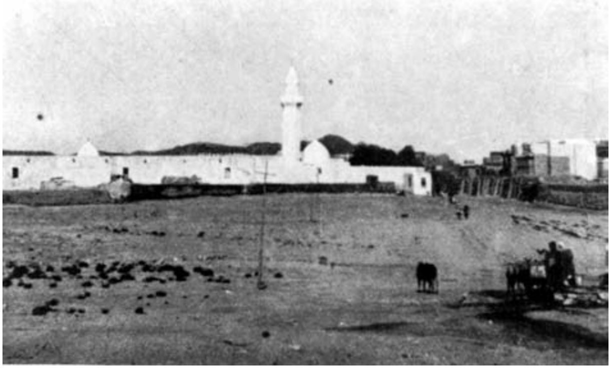

لوحة رقم (٥)

برج غلفة بسور الطائف في الركن الجنوبي الغربي مبني بالحجر واللبن.

نقلاً عن: ملف سوق عكاظ العدد ٢٠

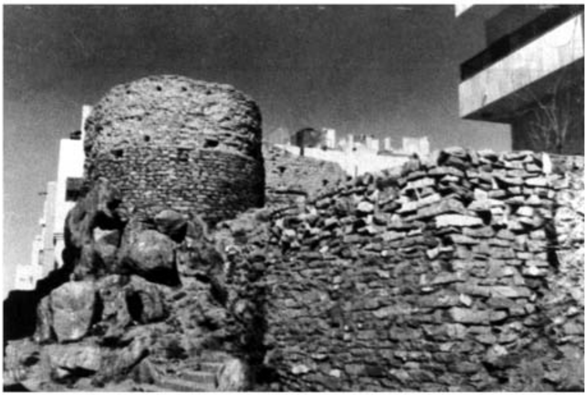

لوحة رقم (٦)

أحد أبواب سور الطائف القديم في الجهة الشمالية الغربية من عمل الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مبني بالحجر الخالص، ويرى خلفه بيت إسماعيل خارج السور بحي العزيزية، ولذلك سمي باب العزيزية كما يسميه البعض باب القشلة لملاصقتها له من الجهة الشمالية الغربية.

(داغستاني - الطائف ص٣٤).

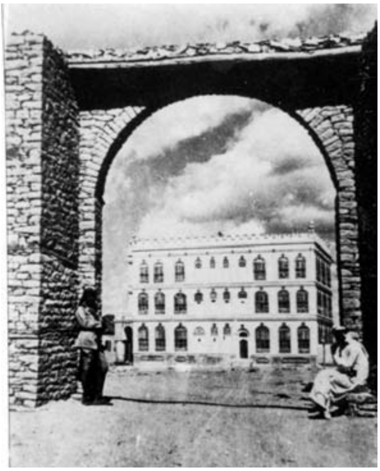

لوحة رقم (٧)

مطار الطائف في السهل الأفيح ويرى في الجهة اليمنى العليا طائرة ومبنى نجمة وخلف السهل جبل أبو صحفة ويقع في الجهة الشمالية من الطائف والثكنة العسكرية (القشلة).

(داغستاني - الطائف ص ٣٨)

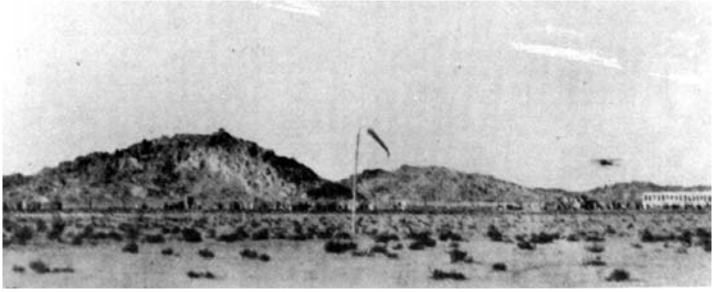

لوحة رقم (٨)

السهل الأفيح وقد أصبح مصلى العيد، ثم مسجد الطائف الكبير ويقع في الجهة الشمالية من الطائف والثكنة العسكرية (القشلة) حيث يفصل بينهما شارع الملك فيصل رحمه الله.

(مجموعة شرطة - الطائف)

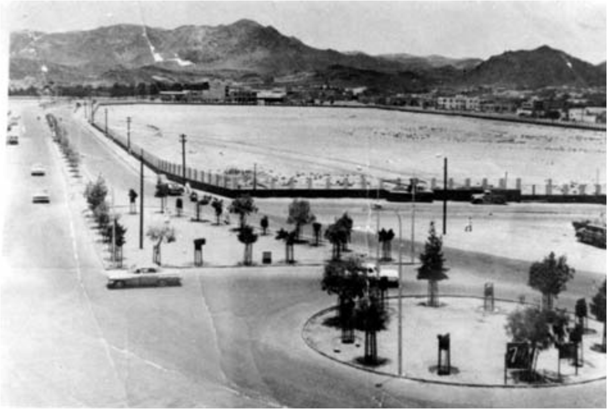

لوحة رقم (٩)

منظر عام لقلعة باب الريع (عثمان) من الجهة الغربية والشمالية ويرى حي الشيبية من السلامة خارج السور، هدمت عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

(داغستاني - الطائف ص ٣٤)

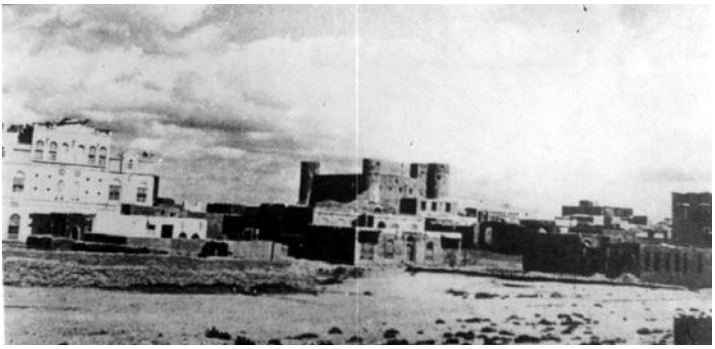

لوحة رقم (١٠)

الواجهة الشمالية لقلعة باب الريع (عثمان)، هدمت عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

نقلاً عن: داغستاني - الطائف ص ٣٥

(مجموعة عائلة مدحت باشا)

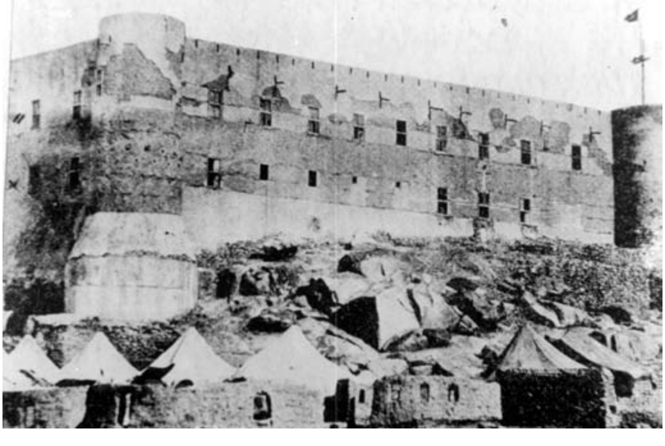

لوحة رقم (١١)

الواجهة الجنوبية لقلعة باب الريع (عثمان)، هدمت عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

نقلاً عن: داغستاني - الطائف ص ٣٥

(مجموعة مدحت باشا)

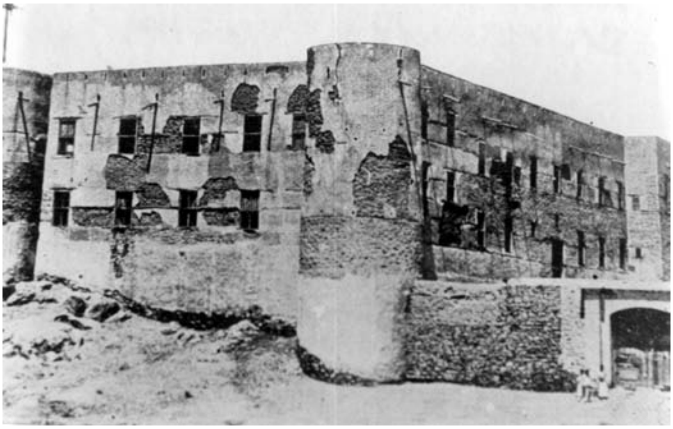

لوحة رقم (١٢)

موقع قلعة باب الريع (عثمان) بعد هدمها سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ويرى بالموقع عمارة سليمان الجارد وجزءاً من الهضبة.

(مجموعة د. سليمان آل كمال)

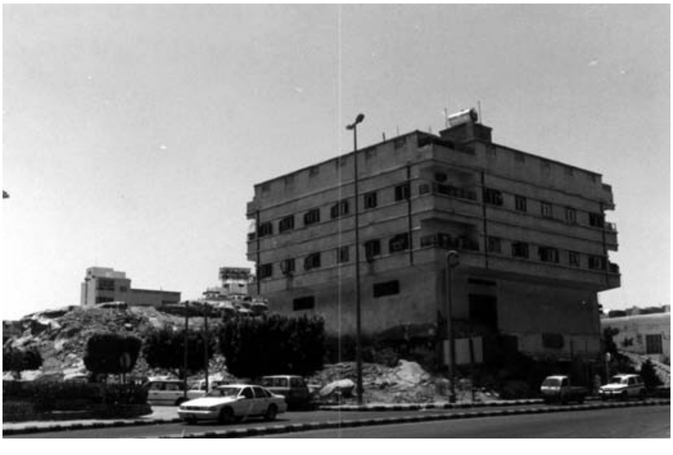

لوحة رقم (١٣)

الواجهة الغربية الشمالية للثكنة العسكرية (القشلة) ويرى في الجهة اليمنى قراج الطائرة بجوار نادي الضباط هدمت عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

(مجموعة د. سليمان آل كمال)

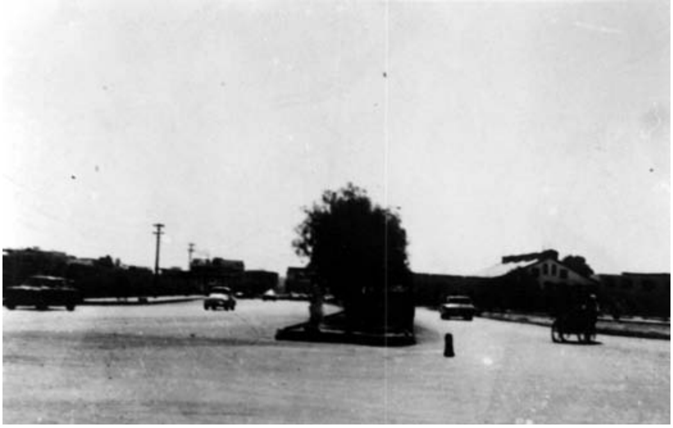

لوحة رقم (١٤)

الركن الشمالي الغربي للثكنة العسكرية (القشلة) ترى في الجهة اليسرى للصورة هدمت عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م، أماَّ الجهة اليمنى مصلى العيد.

(مجموعة د. سليمان آل كمال)

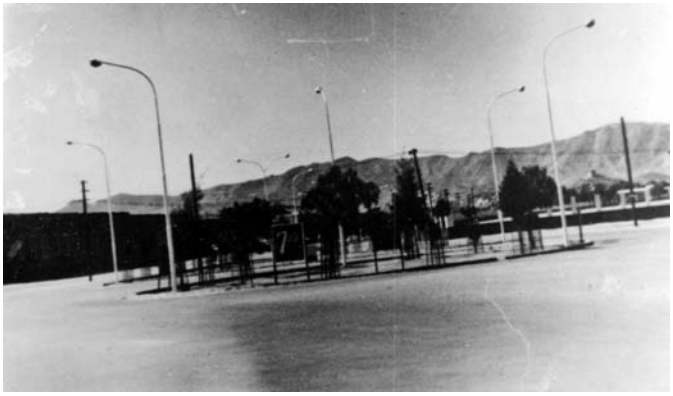

لوحة رقم (١٥)

الواجهة الشمالية للثكنة العسكرية (القشلة) هدمت عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

(مجموعة د. سليمان آل كمال)

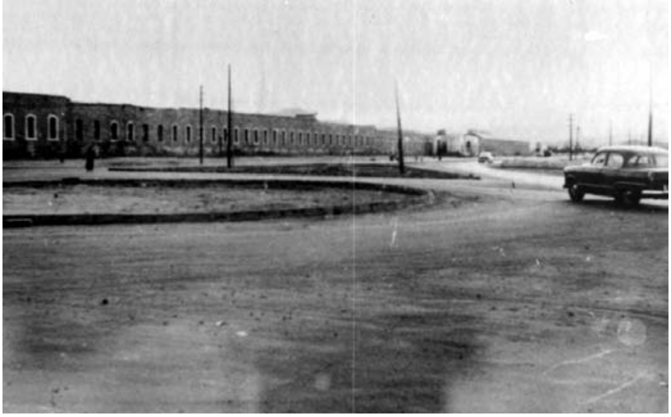

لوحة رقم (١٦)

الركن الجنوبي للثكنة العسكرية (القشلة) هدمت سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

(مجموعة د. سليمان آل كمال)

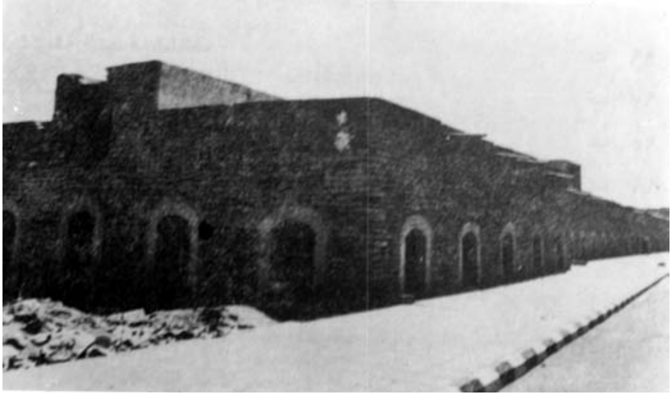

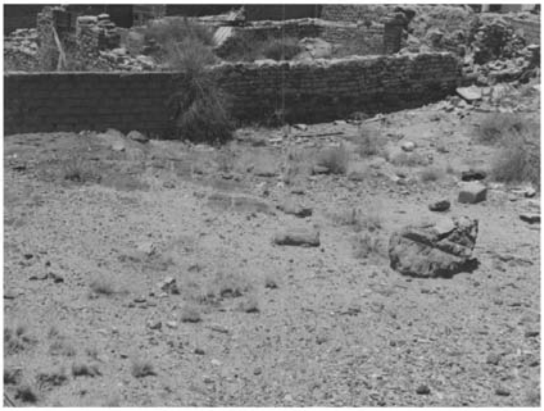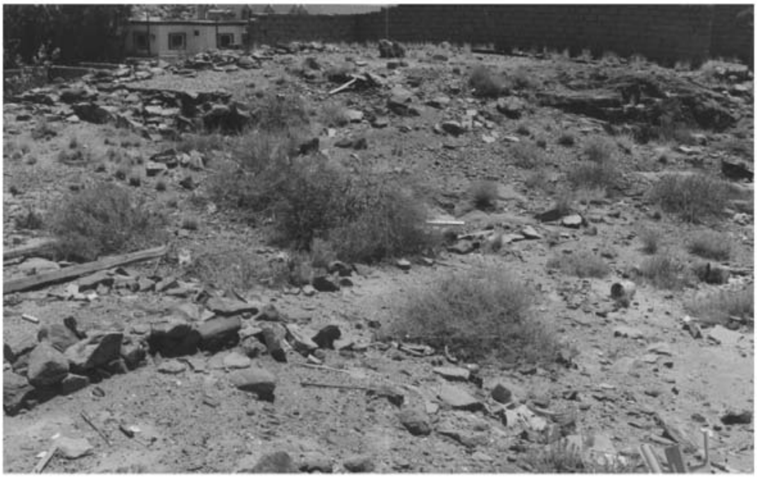اللوحتان رقم (١٧)
موقع قلعة مشرفة بالمثناة بعد إزالتها.
(مجموعة د. سليمان آل كمال)